سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٥)

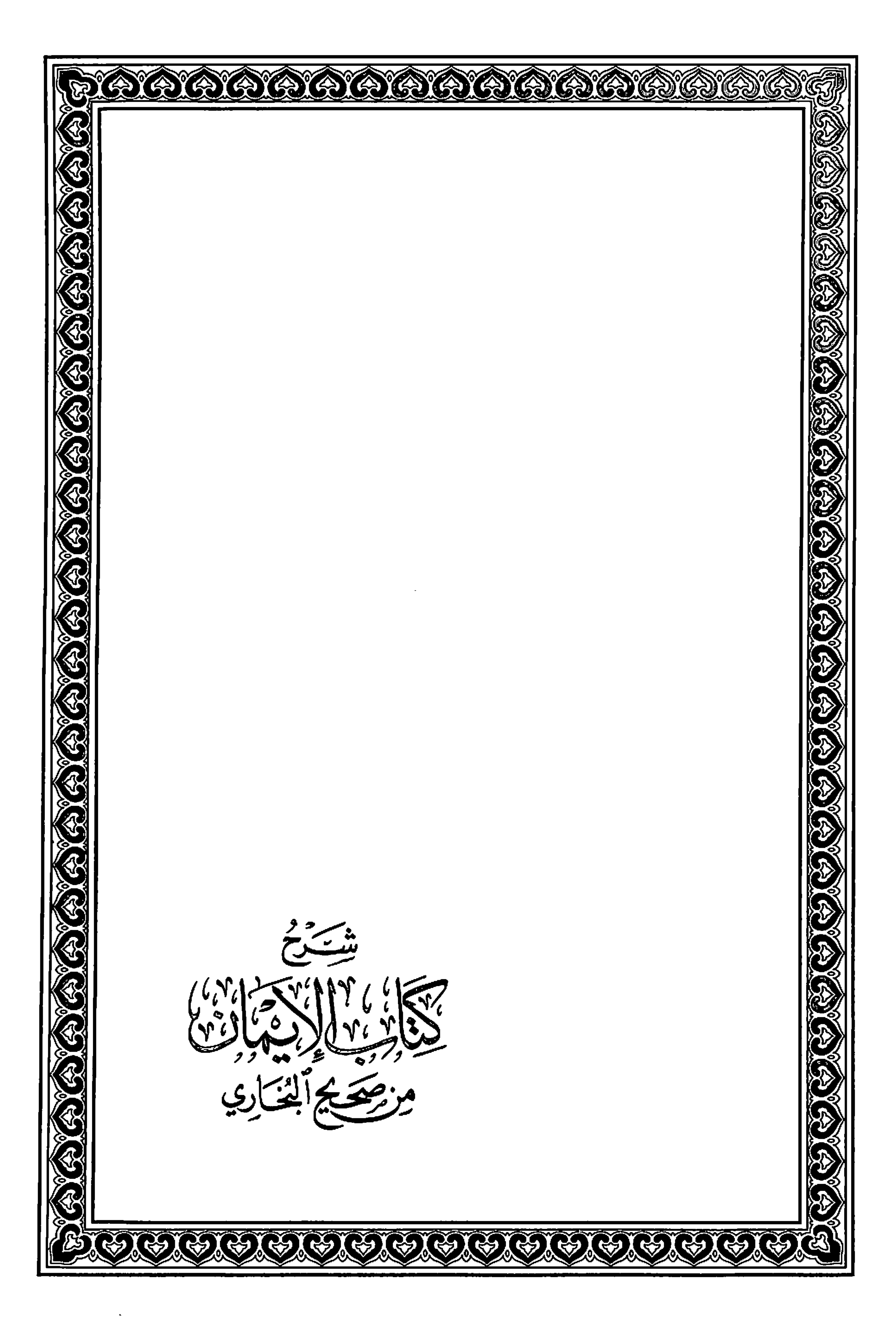


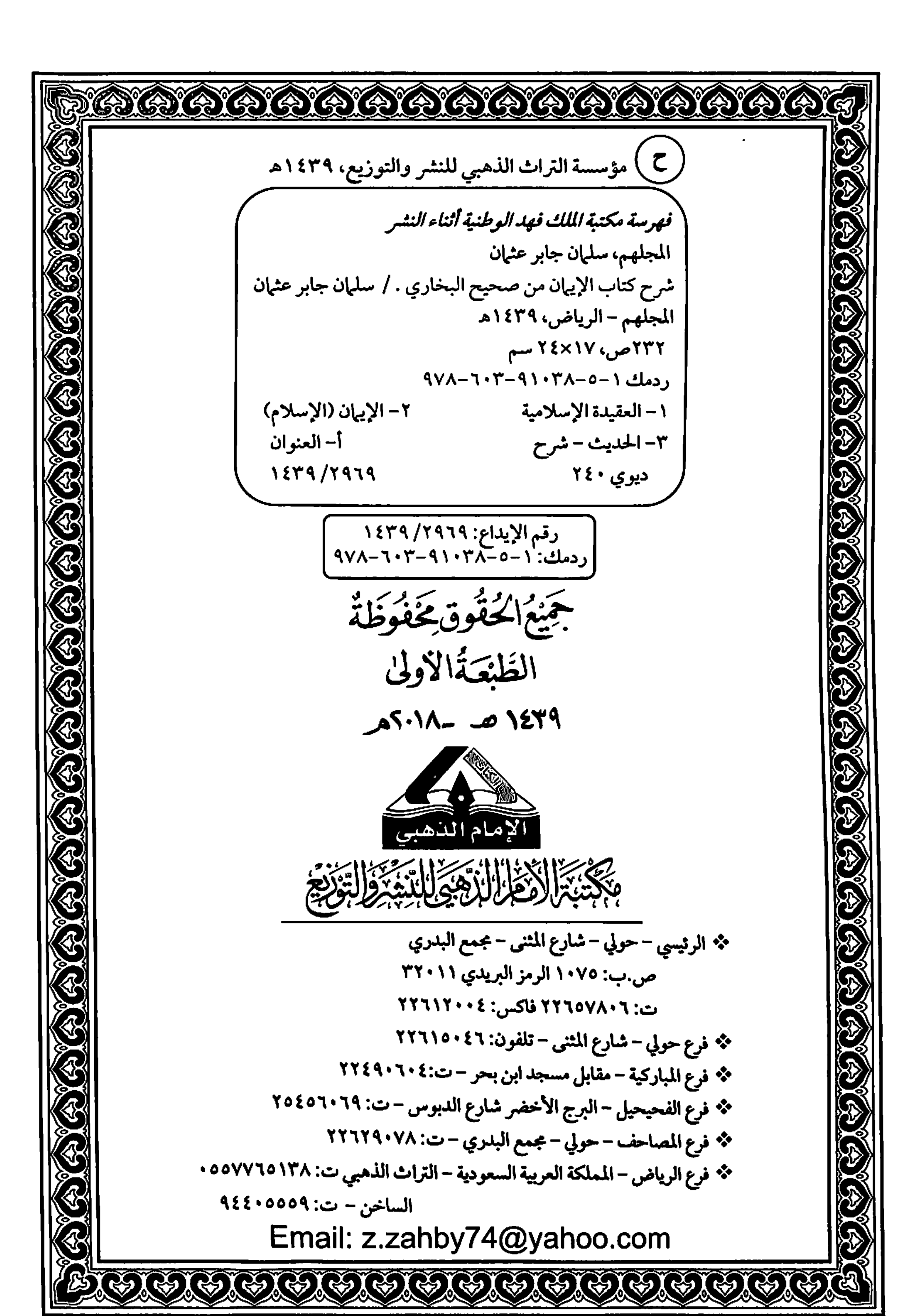

الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت


شرح
كتاب الإيمان
من صحيح البخاري



ح مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

المجلهم، سليمان جابر عثمان

شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري. / سليمان جابر عثمان المجلهم - الرياض، ١٤٣٩هـ

٢٣٢ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك ١-٥-٩١٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- الإيمان (الإسلام)

٣- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٩/٢٩٦٩

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٩٦٩

ردمك: ١-٥-٩١٠٣٨-٦٠٣-٩٧٨



الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

❖ الرئيسي - حولي - شارع المثنى - مجمع البدري

ص.ب: ١٠٧٥ الرمز البريدي ٣٢٠١١

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤

❖ فرع حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٢٦١٥٠٤٦

❖ فرع المباركية - مقابل مسجد ابن بحر - ت: ٢٢٤٩٠٦٠٤

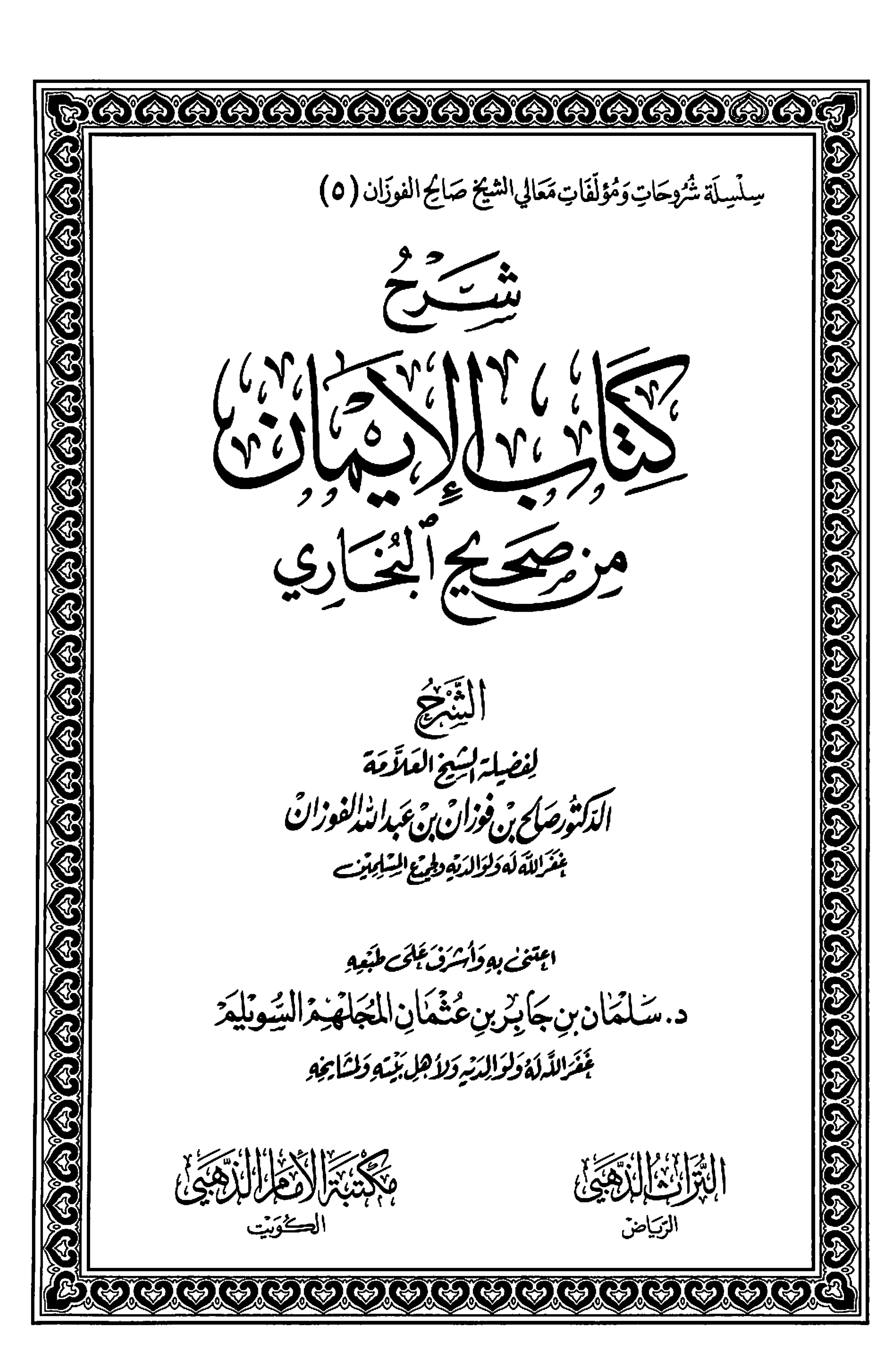
❖ فرع الفحيحيل - البرج الأخضر شارع الدبوس - ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩

❖ فرع المصاحف - حولي - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨

❖ فرع الرياض - المملكة العربية السعودية - التراث الذهبي ت: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨

الساخن - ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩

Email: z.zahby74@yahoo.com



سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٥)

# شرح
# كتاب الإيمان
## من صحيح البخاري

الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

التراث الذهبي
الرياض

مكتبة الإمام الذهبي
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله وبعد:**

فقد أذنت لفضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم بطباعة : (الدروس العلمية).

رجاء أن ينفع الله بها، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٤٢٩/١/٢٩هـ

# مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، **أما بعد:**

فإن الله أكرم أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنَّ عليها بخير خلق الله المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل طاعته من طاعة الله تعالى، فقال جَلَّ وَعَلَا في سورة محمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣] الْآيَةَ، وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (نَظَرْتُ فِي الْمُصْحَفِ فَوَجَدْتُ فِيهِ طَاعَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]).

وسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشتملة على أقواله، وأفعاله، وما دلنا عليه من وحي الله -جل شأنه-؛ كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»**.

وقد وفق الله تعالى الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ لعمل عظيم، وهو جمع الأحاديث الصحيحة الثابتة سندًا ولفظًا، وإننا لنغبط الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ على عمله الجليل هذا، حتى إنه روي عنه أنه قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (صنفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة بيني وبين الله)، وقد جعل في بداية كتابه بعد أن عقد كتاب بدء الوحي، فجعل بعده كتاب الإيمان، وذكر فيه الأدلة التي تدل على أن الأعمال

داخلة في الإيمان، وأن الناس يتفاوتون في الايمان، وأن الإيمان يزيد وينقص؛ ردًّا على من يزعم أن الإيمان هو التصديق فقط، وأن من حصل منه التصديق فقط لا تضره المعاصي والآثام والسيئات والمحرمات، وفي هذا القول المخالف للكتاب والسنة ضرر عظيم، وخطر جسيم على عقيدة المسلمين، وتسهيل في أمر المعاصي، وقد بين الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة في صحيحه في كتابه الموسوم بـ(كتاب الايمان)، وذكر في هذا الكتاب الكثير من الأعمال، فنص على أن الصلاة، والزكاة، والصيام، والجهاد، واتباع الجنائز، وأداء الخُمُس، والدعاء من الايمان، وجعل بابًا في أمور الايمان، والحق أن الايمان قول وفعل واعتقاد؛ فهو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، وأن الأعمال من مسمى الايمان، سواء كانت أفعالًا أو تروكًا.

وقد شرح شيخنا ووالدنا صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان كتاب الايمان من صحيح البخاري، فأفاد فيه وأجاد -أثابه الله تعالى-، وكان ذلك في دروس ألقاها فضيلته في الدورة الصيفية الثالثة عشر من دورات الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ دورة كبار العلماء السابعة، ابتداءً من السابع عشر من شهر شعبان، من عام ثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة -على صاحبها أتم الصلاة وأزكى التسليم.

وقد استأذنت شيخنا في إخراج شرحه وتعليقاته وتوضيحاته المفيدة؛ نصحًا للمؤمنين وإرشادهم في دينهم وإيمانهم.

وقد تم إعداد هذا الكتاب على نفقة الدكتورة/ آلاء بنت محمد حسن مسلم الأحمدي الحربي، وفقها الله تعالى، وأثابها، وجعل ذلك في ميزان حسناتها، وغفر لها ولوالديها.

والله أسأل أن يجعلنا من كُمَلِ المؤمنين السابقين بالخيرات -بإذن الله سبحانه-، ويبلّغنا مرتبة الصديقية بفضله جل شأنه!

ومما تجدر الإشارة إليه أن إعداد هذا الكتاب، وإخراجه، وطباعته، والعائد من بيعه كله وقف لله تعالى.

نسأل الله المجيب القريب الإخلاص والقبول والثواب، وأن يرزقنا حسن الخاتمة وحسن الوفادة على الله تعالى في يومنا الموعود، إذا حان الأجل!

وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم.

كتبه

د. سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه



## مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد...

فإن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يحتاج إلى تعريف؛ فهو إمام المحدثين، جبل الحفظ، وكتابه (الجامع الصحيح) أصح كتابٍ في الإسلام بعد كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد وضعه على كتب وأبواب مفصَّلة، تراجم لكل باب، مما يوضح للقارئ فقه الأحاديث، فهو من فقهاء المحدِّثين، بل هو إمامهم، ومن ذلك ما نحن بصدده، وهو (كتاب الإيمان) من صحيح البخاري.

لا شك أن الإيمان هو أصل الدين -الإيمان والإسلام-، وهما يجتمعان، الإسلام والإيمان شيءٌ واحد، ولكن من جهة التفصيل الإيمان له أركانٌ خاصة، والإسلام له أركانٌ خاصة.

والإيمان يكون في القلب، والإسلام يكون في الأعمال الظاهرة، الإيمان يكون في أعمال القلوب، ويتبعها أعمال الجوارح، يتبعها الإسلام، وأما الإسلام، فهو الأعمال الظاهرة، قد يكون الإنسان مؤمنًا مسلمًا، وقد يكون مسلمًا فقط، وهو المنافق الذي استسلم في الظاهر، وانقاد في الظاهر، هذا يقال له: مسلم، ولا يقال له: مؤمن، وأما من كان فيه إسلامٌ وإيمان، فهذا هو المسلم والمؤمن حقًّا، فلا يكفي إسلامٌ بدون إيمان، ولا يكفي إيمانٌ بدون إسلام؛ لابد من الأعمال الظاهرة والباطنة.

والإيمان يتفاوت؛ منه إيمانٌ قوي، إيمانٌ كامل، ومنه إيمانٌ ضعيف، ومنه إيمانٌ بين ذلك، الإيمان يتفاوت، ويزيد وينقص؛ كما يأتي.

**الإيمان في اللغة:** التصديق، هذا في اللغة، آمن له، يعني: صدَّقه، وآمن به، أي: صدَّق به[1].

ولكن الإيمان في الشرع لا يقتصر على التصديق.

**الإيمان في الشرع:** هو قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح[2].

لابد من هذه الأمور الثلاثة، ليس مجرد التصديق، بل هو تصديقٌ معه أعمال باللسان، وأعمالٌ بالقلب، وأعمالٌ بالجوارح، فيكون إيمانه صحيحًا.

أما الإيمان اللغوي، فهذا لا ينفع صاحبه، فهناك الإيمان اللغوي، وهناك الإيمان الشرعي الذي معنا، أما الإيمان اللغوي، فيوجد عند المسلم وعند الكافر، كلٌّ في قرارة نفسه وقلبه يؤمن بالله الخالق الرازق، المحيي المميت، ولكن ليس مع إيمانه بالقلب عمل.

وكذلك الإيمان ليس هو العمل فقط بدون تصديق بالقلب؛ لابد إذًا من ارتباط الإسلام بالإيمان: قوْل باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح،

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، ومختار الصحاح (ص١١)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٦٩). وانظر مبحث في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص٢٧٥ وما بعدها).

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٤).

فالإيمان باللسان فقط دون الإيمان بالقلب هذا إيمان المنافقين، الإيمان باللسان فقط إيمان المنافقين، لا يسمى إيمانًا.

الذي يقول: إن الإيمان هو القول باللسان. هذا خطأ، وهو مذهب الكرَّامية[١]، فالمنافقون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ كما ذكر الله عنهم. وليس الإيمان في القلب فقط -كما يقول الأشاعرة[٢]، والماتريدية[٣]-،

---

(١) هو محمد بن كرَّام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح، توفي سنة ٢٥٥هـ. انظر: المنتظم (١٢/ ٩٧)، وتاريخ دمشق (٥٥/ ١٢٧)، والسير للذهبي (١١/ ٥٢٣)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٠)، والأنس الجليل (١/ ٢٩٦)، وشذرات الذهب (٢/ ١٣١).

(٢) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ.
انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

(٣) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله I يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١ - ٤٣٤)، وفتح الباري (١٣/ ٤٥٥)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١ - ٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦٢)، وانظر: رسالة الماتريدية للشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ليس الإيمان بالقلب هو التصديق بالقلب فقط بدون نطق، وبدون أعمال، هذا قول الأشاعرة ومن سار في ركابهم.

وليس الإيمان هو القول باللسان والاعتقاد بالقلب فقط -كما تقوله المرجئة[١]-، بل لابد من العمل؛ قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، لابد من الأمور الثلاثة: القول باللسان، والاعتقاد بالقلب، والعمل بالجوارح[٢].

ثم الإيمان يزيد، وينقص، ليس الناس على حدٍّ سواء؛ منهم المؤمن قوي الإيمان، ومنهم المؤمن ناقص الإيمان، ومنهم المؤمن فيما بين ذلك؛ بين النقصان والكمال، يتفاوتون في هذا حسب ما يعطيهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأقوال، والأفعال، والأعمال الصالحة، يتفاوتون في هذا.

---

(١) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص ١٩٠).

(٢) وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، فقد قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد طفت الأمصار، ولقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم كلهم يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/ ٥٨، ٥٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٧، ٤٠٨)، وذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢١٧)، وابن حجر في الفتح (١/ ٤٧).

وقال أيضًا: «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل» اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/ ٨٨٩)، وذكره ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧٩).

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع عن الشافعي، انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٨).

وقال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٣٨): «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان» اهـ.

# كِتَابُ الإِيمَانِ

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ»، وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤]، وَقَوْلُهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وَالْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ مِنَ الإِيمَانِ، «وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا، اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ؛ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ، فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً»، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْيَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ»، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ أَوْصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ سَبِيلًا وَسُنَّةً».

---

بالسند إلى الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، كِتَابُ

الإِيمَانِ، بَابُ الْإِيمَانِ، وقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ).

وهذا قول الإمام البخاري، وهو قول أئمة الإسلام قاطبةً، هو قولٌ وفعلٌ واعتقاد؛ فعل يعني: عمل، قولٌ وفعل؛ أي: عمل واعتقاد، القول يكون باللسان، والاعتقاد يكون بالقلب، والعمل يكون بالجوارح -يعني: بالأعضاء- ظاهرًا، هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

أيضًا الإيمان يزيد وينقص؛ خلافًا لمن قال -كقول المرجئة-: الإيمان شيءٌ واحد لا يزيد ولا ينقص. لا، الإيمان يزيد، وينقص.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ [التوبة:١٢٤]؛ يعني: يقول بعضهم لبعض: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤]، دلَّ على أن الإيمان يزيد.

قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]، فهذه تدل على أن الإيمان يزيد؛ كما أن الإيمان ينقص عند بعض الناس، حتى لا يلقى منه إلا مثقال ذرَّة؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[١]، فدل على أن الإيمان ينقص.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي روايةٍ: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»(١)، دل على أن الإيمان ينقص، حتى يكون كحبَّة الخردل، هذه آخر شيء، ليس وراءها إيمان.

وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»(٢)، فدلَّ على أن الإيمان له أعلى، وله أدنى.

هذا مذهب أهل السنة مبني على هذه الأدلة؛ على أن الإيمان يزيد وينقص، والناس ليسوا على حدٍّ سواء في الإيمان.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]).

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، هذه من أدلة أهل السنة على أن الإيمان يزيد مع نزول الآيات، ومع نزول السكينة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]).

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، فدلَّ على أن الإيمان يزيد؛ لأن الهدى هو الإيمان.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦])، هذا -أيضًا- من أدلة زيادة الإيمان؛ لأن الهدى هو الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) -واللفظ لمسلم-، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٧])، هذا دليل على زيادة الإيمان، وأن الله يزيد بعض الناس أكثر من بعض.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر:٣١])

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [المدثر:٣١]؛ لأن القرآن جاء موافقًا للتوراة التي عندهم.

﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر:٣١]، فدل على أن الإيمان يزداد.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ: ﴿ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة:١٢٤])، ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ﴾ [التوبة:١٢٤]؛ أي: المنافقون. ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٥]، وهم المنافقون. ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٥]، نسأل الله العافية!

فالشاهد في قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة:١٢٤]، فدل على أن الإيمان يزيد مع نزول القرآن، ومع سماع القرآن.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٧٣])، ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ

فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]، هذه الآية نزلت بعد غزوة أحد لما فرغ الكفار، وقد فعلوا بالمسلمين ما فعلوا من القتل، لما انصرفوا، ورجع المسلمون إلى المدينة بما فيهم الجرحى والقتلى، تلاوم الكفار فيما بينهم، وقالوا: لو استكملناهم ولاتركنا منهم أحدًا، فَهَمُّوا بالرجوع على المسلمين؛ ليقتلوا بقيتهم -بزعمهم-، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، قالوا هذه المقالة، فلما بلغتهم هذه المقالة، ازداد إيمانهم بالله، وثقتهم بالله.

﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ما تضعضعوا أو خافوا من الكفار؛ لأنهم واثقون بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، رغم ما أصابهم من المصيبة، لكن إيمانهم لم يتضعضع، وثقتهم بالله لم تنقص.

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [آل عمران:١٧٣]، زادهم هذا إيمانًا، بخلاف المنافقين؛ فإنهم إذا بلغهم الخوف، زاد شرهم ونفاقهم.

﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]؛ أي: الله يكفينا شرهم.

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]: فوَّضنا أمرنا إلى الله.

خرجوا من المدينة للقاء الكفار، فلما علم الكفار بخروجهم، وقع الرعب في قلوبهم، وقالوا: ما خرجوا إلا وفيهم قوة، فوقع الرعب في قلوبهم، فولَّوا مدبرين -والحمد لله-، ورجع المسلمون سالمين مأجورين.
﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو

فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٤]، هذه النتيجة، لكن بعد قوة الإيمان، والصبر، والتوكل على الله.

الشاهد في قوله: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ما زادهم هذا الخبر المرعب المخيف إلا إيمانًا، ما ضعضعهم، أو خوَّفهم؛ لأنهم مؤمنون بالله، متوكلون على الله جَلَّ وَعَلَا.

هذا محل الشاهد: ﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٧٣]، نعم، هذا دليل على أن الإيمان يزيد.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٢٢])، هذه غزوة الأحزاب، الذين تجمعوا من القبائل، وغزوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والمسلمين في المدينة، وعسكروا حول المدينة، أرادوا دخولها، ولكن الله وفَّق رسوله والمؤمنين إلى حفر الخندق حول المدينة؛ فلم يستطيعوا.

تسمى غزوة الأحزاب، وتسمى غزوة الخندق، لم يستطيعوا دخول المدينة بسبب هذه الخطة المباركة، وهي حفر الخندق حول المدينة، لكن أصاب المسلمين شدة.

﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:١٠]، العدو طوَّقهم؛ من الخارج الكفار والمشركون، ومن الداخل المنافقون واليهود، تكالبوا على المسلمين من الداخل والخارج، المؤمنون ما زادهم هذا الموقف إلا إيمانًا؛ ثقةً بالله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]؛ تسليمًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تسليمًا للقضاء والقدر، وإيمانًا بالله أنه هو مولاهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ يعتمدون عليه، يتوكلون عليه.

الشاهد في قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ [الأحزاب:٢٢]، ما زادهم هذا الموقف الرهيب إلا إيمانًا، فدلَّ على أن الإيمان يزيد، لا سيما عند المواقف الصعبة، والمواقف الشديدة.

فالمنافق ينهار عند المواقف الشديدة، أما المؤمن فإنه يقوى إيمانه ويقينه بالله عَزَّوَجَلَّ، تشتد عزيمته؛ لأنه يعرف ويؤمن بتدابير الله، وقضائه، وقدره، فهو واثقٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ مِنَ الإِيمَانِ) نعم، في الحديث: «**أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**»[1]، دل على أن الإيمان -أيضًا- له شعب، وله خصال، ومن خصاله وشعبه هذه الخصلة العظيمة الحب في الله؛ أن تحب إخوانك المؤمنين في الله، لا من أجل المال، أو من أجل طمع، أو من أجل قرابة أو نسب، إنما تحبهم في الله، هذه محبة الإيمان.

وكذلك تُبغض الكفار، تُبغض أعداء الله؛ لأن الله يُبغضهم، تكرههم؛ لأن الله يكرههم، هل تكرههم من أجل أنهم لم يعطوك مالًا، أو تكرههم لأنهم ضرُّوك في دنياك؟

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٨٨)، والطيالسي في مسنده (٢/ ١١٠)، وابن أبي شيبة في مسنده (١/ ٢١٧)، والمروزي في السنة (١/ ٢١)، من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لا، بل تكرههم في الله، من أجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنهم أعداء الله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١]. فمن أحب الكفار، فقد ضلَّ سواء السبيل، ومن أبغض الكفار لله، ليس من أجل الدنيا، بل أبغضهم لله؛ لأن الله يُبغضهم، يُعاديهم؛ لأن الله عدوهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٩٨]، من أجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا هو المؤمن.

فدلَّ هذا على أن الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، خصلة عظيمة من خصال الإيمان، فالذي لا يحب المؤمنين، ولايكره الكافرين، هذا ليس بمؤمن، ليس في قلبه إيمان، نعم، إما أنه ليس في قلبه إيمانٌ أصلًا، وإما أن فيه إيمانٌ ناقص نقصٌ عظيم.

فعلى المسلم أن يتنبَّه لهذا؛ فلا يحب إلا في الله -المحبة الدينية-، ولا يُبغض إلا في الله عَزَّوَجَلَّ، لا يُبغض أحدًا من أجل قطيعة، أو من أجل اعتداءٍ عليه، أو من أجل...، لا، بل يُبغضه لأنه كافر، لأنه مشرك، عدوٌّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يحبه من أجل المال أو قرابة، إنما يحبه لأنه مؤمن، ولو كان ليس من أقاربه، مادام أنه مؤمن، فهو أخوك، تحبه في الله عَزَّوَجَلَّ؛ من أجل الله عَزَّوَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا، اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ

لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ؛ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ، فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»)، هذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي اشتهر بالعلم، والعبادة، والزهد، والعدل، اشتهر بخصالٍ عظيمة، حتى عدَّه بعض العلماء من الخلفاء الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أو هو مدته مكمِّلة لمدة الخلفاء الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

هذا كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يبيِّن أن الإيمان منه ما هو إيمانٌ كامل، ومنه ما هو إيمانٌ ناقص، وذلك لأن الإيمان له خصال، وله شعب، وله أركان، ليس هو شيءٌ واحد، الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أو بضعٌ وستون شعبة.

الأعمال الصالحة كلها من خصال الإيمان، الأعمال الصالحة كثيرة، فمن استكمل هذه الشعب وهذه الأحوال، استكمل الإيمان، ومن نقص، نقص إيمانه بحسبها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ)؛ يعني: أشياء واجبة، وشرائع؛ أشياء مكملة، سنن ومستحبات.

(وَحُدُودًا)؛ حدود الإيمان هي جميع أركانه وأعماله.

(وَسُنَنًا)؛ طرقًا إيمانية كثيرة.

فالإيمان إذًا يشمل كل أعمال الخير الاعتقادية، والقولية، والعملية، أعمال الخير كلها من الإيمان، والناس يتفاوتون فيها، فمن استكملها، استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها، نقص إيمانه بحسب ما فاته من هذه الحدود، والشعب، والسنن، الناس ليسوا على حدٍ سواء.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا، اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ). نعم، من استكمل هذه الأمور، استكمل الإيمان، ولكن هذا صعب، لا يحصل إلا للأفراد من الناس.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا، لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ)، انظر: ما قال: يكفر، يقول: (لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ)؛ يعني: يكون إيمانه غير كامل؛ عنده نقص، ولم يقل: إنه يكفر؛ كما تقوله الخوارج[1]، فهناك فرق بين الكفر ونقصان الإيمان، فرق، تنبهوا لهذا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنْ أَعِشْ، فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ»، يشرحها لهم، ويبيِّنها لهم؛ إذ أعطاه الله من العلم، ومكَّنه من السلطة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ؛ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا»، هذا دليل على أنه يجب على العالم أن يبين للناس؛ لاسيما أمور العقيدة، يبين أمور العقيدة أهم شيء، ثم بعدها بقية شرائع الإسلام، لكن يبدأ بالعقيدة يبينها للناس، فهذا عمر بن عبد العزيز يقول: «فَإِنْ أَعِشْ»؛ إن كتب الله لي أجلًا؛ إذًا أبين

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ من الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

لكم هذه الشعب، وهذه الحدود والسنن، فدل على أن العالم يجب عليه أن يبين للناس أمور دينهم، ولاسيما أمور العقيدة، التي هي الأصل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِنْ أَمُتْ، فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»؛ يحب لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي الحديث: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّه اللهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَه اللهُ»[1] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِنْ أَمُتْ»؛ يعني: كتب الله على الموت قبل أن أبين، فأنا راضٍ بقضاء الله وقدره، والمؤمن يفرح بلقاء الله؛ ليسلم من الفتن، يفرح بلقاء الله وبالموت من أجل أن يسلم من الفتن؛ لأن الحي معرضٌ للفتن، فهو يخاف من الفتن.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾).

إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أكمل الناس إيمانًا، ومع هذا قال بالزيادة، قال بالزيادة قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠]؛ أرني عيانًا؛ لأن المعاين ليس كالمخبر، هو عنده إيمان بموجب الأخبار الصادقة التي نزلت عليه من الله؛ فهو مؤمنٌ بالأخبار يريد المعاينة، ليس من رأى كمن سمع، هو يريد المعاينة، هو يؤمن أن الله يحيي الموتى، ما عنده شك في هذا، ولكن يريد المعاينة؛ حتى يزيد إيمانه، ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين، هو عنده علم اليقين، ويريد أن يرتقي إلى عين اليقين، أعلى شيء عين اليقين، ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠]؛ وهو مؤمن علم اليقين، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩/ ١٠٣)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٨٢)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٣٤٥)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قَلۡبِي ﴾ [البقرة:٢٦٠]؛ هذا عين اليقين، أي: يفيد اليقين الخالص؛ فهو طلب المزيد، إذا كان إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ طلب المزيد لإيمانه، فنحن أحوج بطلب زيادة الإيمان، ولم يزكِّ نفسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، والمؤمن لا يزكي نفسه، ولا يقول: أنا بلغت مبلغًا يكفي، لا، بل يطلب من الله الزيادة، يقول: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٤]؛ فالمؤمن لايشبع من دينه، ومن العلم النافع، دائمًا يطلب الزيادة، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥]؛ قال تعالى: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٧٦]؛ فالمؤمن لايدعي الكمال، بل يعتبر أنه بحاجة إلى زيادة العلم، وإلى زيادة الإيمان، وإلى زيادة العمل، هذا هو المؤمن.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً»).

(وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ)؛ لأحد الصحابة «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً»؛ أليسوا مؤمنين من قبل؟ يقصد: نؤمن أي: يكمل إيماننا، نزداد إيمانًا بهذه الجلسة والمذاكرة، يتذاكرون العلم، ويذكرون الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم يجلسون يتكلمون، ولا يغتابون الناس، ولا ينمون، يجلسون يذكرون الله جَلَّ وَعَلَا في طلب العلم، والزيادة من العلم، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير، هذا معنى قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «نُؤْمِنْ سَاعَةً»؛ أي: يزداد إيماننا بالله عَزَّ وَجَلَّ لما نتدارسه في مجلسنا، فمجالس الخير -لاحظوا! - مجالس الخير، ومجالس العلم، ومجالس الصالحين تزيد الإيمان، ومجالس الغفلة، واللهو، والقيل والقال تنقص الإيمان.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ»).

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ)؛ هذه أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ قول معاذ، وقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«اليَقِينُ الإِيمَانُ كُلُّهُ»؛ يعني: من وصل إلى اليقين، فقد استكمل الإيمان؛ لأن ما كل مؤمن يكون عنده هذا اليقين الكامل، بل يكون عنده نقص، لكن إذا بلغ اليقين، فقد استكمل الإيمان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ»).

نعم «لَا يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ»، هذا كلام ابن عمر، البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يسوق من أقوال صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«لَا يَبْلُغُ العَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى»؛ أي: نهايتها وكمالها، «حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ»؛ في صدره من الشكوك، والأوهام، وسوء الظن، ويعتمد على الله، ويحسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ، ويحسن الظن بالمؤمنين، ويحسن الظن بوعد الله، وألا يكون في صدره شكوك، أو أوهام، أو تحسس في دينه، إنما يكون متيقنًا حق اليقين في عقيدته، في دينه، فيما بينه وبين الله، فيما بينه وبين إخوانه المسلمين، هذا هو المؤمن.

أما الذي عنده شكوك، أو أوهام، أو سوء ظن، فهذا ينقص إيمانه بحسب ما عنده.

الإنسان المؤمن لا يندفع مع الشكوك والأوهام، بل يكون ثابتًا، فإذا جاءته خاطرة سيئة أو وهمٌ، رفضه، وتركه، ولم يلتفت إليه، وإلا فالإنسان

بشر، تأتيه أوهام، هذا الإنسان تأتيه شكوك، تأتيه وساوس من الشيطان، المؤمن يرفضها ويتركها، ولا يتكلم بها، هذه لا تضره، أما إذا اندفع معها، وتفاعل معها، تنقص إيمانه، قد تخرجه من الإيمان في النهاية، فعلى المسلم أن يكون مطمئن القلب لله عَزَّوَجَلَّ واثقًا بربه، واثقًا بإخوانه المسلمين، تاركًا لوساوس الشيطان وهواجس النفس.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾؛ أَوْصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا»).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ مُجَاهِدٌ)؛ يعني: مجاهد بن جبر، إمام التابعين من تلاميذ عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، لما ذكر نموذجًا من أقوال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، انتقل إلى ذكر نموذج من أقوال التابعين، ماذا قال مجاهد؟ قال: (﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾؛ أَوْصَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا).

كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]؛ شرع لكم من الدين، الله جَلَّ وَعَلَا شرع لكم -أيها المسلمون- من الدين ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ [الشورى: ١٣]؛ نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول الرسل، ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ [الشورى:١٣]؛ خص هؤلاء بأنهم أولو العزم، هؤلاء هم أولو العزم الخمسة من الرسل، ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وهم أفضل الرسل، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب:٧]، خص هؤلاء؛ لأنهم أولو العزم من الرسل، الله شرع لنا دين

هؤلاء، فعقيدة الرسل واحدة، وهي التوحيد؛ عبادة الله وحده لا شريك له، هذه عقيدة واحدة، لا تختلف باختلاف الرسل، كلهم يدعون إليها؛ دعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك، هذا دين الرسل جميعًا، أما الشرائع، فهي تختلف حسب حاجة الناس في كل وقت: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]؛ الشرائع -التي هي الأوامر، والنواهي، والحلال، والحرام- هذه تختلف باختلاف حاجة الأمم، إذا انتهت شريعة، جاءت شريعة أخرى تنسخها، حتى ختمت الشرائع بشريعة محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم تنسخ إلى أن تقوم الساعة.

فأما في العقيدة، فالرسل كلهم عقيدتهم واحدة، وهي التوحيد، أرادوا الله تعالى بالعبادة وترك عبادة ما سواه، وهذا هو الذي شرعه الله للرسل جميعًا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وخص هؤلاء الخمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام-، هؤلاء هم خواص الرسل، والله شرع لنا ما شرع لهم في التوحيد والعبادة، الشاهد من هذا: أن الإيمان هو دين هؤلاء الرسل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ سَبِيلًا وَسُنَّةً»)، نعم، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]؛ هذا في الأوامر، والنواهي، والأحكام، وما يحتاجه الناس في معاملاتهم، وفي اختلافهم، وفي...، هذه شرائع تختلف باختلاف الأمم، والله يشرع لكل أمةٍ ما يناسبها في وقتها، ثم ينسخها بشريعة نبي آخر، إلى أن جاءت شريعة محمد

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فختمت الشرائع، واستقرت إلى يوم القيامة، فهذه هي الشريعة والمنهاج، التي تختلف باختلاف الأحوال.

أما العقيدة، فلا، العقيدة واحدة منذ خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخر الدنيا، توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ بما شرع، فالمسلم: هو كل من عبد الله بشريعة نبيٍ من الأنبياء في وقته -وهو مسلم- قبل أن تنسخ، أما إذا نسخت، انتهت، ويكون العمل بالشريعة التي نسختها، هذا هو دين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، فكل من عبد الله مخلصًا له الدين على موجب شريعة من شرائع الأنبياء في وقته، فهو مسلمٌ منقادٌ لله عَزَّ وَجَلَّ، إلى أن جاء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصارت الشريعة هي شريعة الإسلام، والمسلم هو من اتبع محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتهت الشرائع السابقة، نسخت، أدت مهمتها في وقتها، وانتهت، ينتقل العالم إلى شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



# باب دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ

لِقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ [الفرقان:٧٧]، وَمَعْنَى الدُّعَاءِ فِي اللُّغَةِ: الإِيمَانُ.

٨- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[1].

---

قوله: (باب دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ)؛ أي: أن الدعاء إيمان، والدعاء عمل، فدل على أن العمل من الإيمان، وذلك لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٧].

قوله: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾؛ قيل: معناه: لولا إيمانكم؛ أي: لولا أنكم تدعون إلى الإيمان -مع كونهم كفارًا، فلا يُترك من يدعون إلى الإيمان-، فيكون الدعاء المراد به دعوتهم إلى الإيمان، وهذا إيمان، الدعوة إلى الله من الإيمان، وقيل معنى ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾؛ أي: لولا إيمان المؤمنين، لعذب الله أهل الأرض، لكن وجود المؤمنين الذين يدعون الله، ويؤمنون به، يرفع الله به العذاب عن أهل الأرض؛ ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن دعاكم إلى الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٨، ٤٥١٤)، ومسلم (١٦).

قوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾؛ أي: فسوف يكون عذابًا ملازمًا؛ سوف يصيبكم عذابٌ لازمٌ لكم، لا ينفك عنكم، فهذا وعيدٌ شديد على من كذب الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأن جزاءه العذاب الملازم الذي لا ينفك عنه.

حديث ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»، كذا تقديم الحج على الصوم، وفي روايةٍ أخرى -كما هو المعلوم والمشهور- تقديم الصوم على الحج؛ صوم رمضان، وحج بيت الله الحرام[(١)]، والشاهد من هذا: أن الأعمال شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، أنها من الإسلام، أو هي أركان الإسلام ومبانيه، بُني الإسلام على هذه الخمس[(٢)]، والإسلام والإيمان بمعنًى واحد، لايكون إسلامٌ صحيح إلا بالإيمان، كما لا يكون إيمانٌ صحيح إلا بالإسلام؛ فهما متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر.

فدل على أن الأعمال من الإيمان؛ شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهذا قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب، عملٌ بالجوارح، وإقام الصلاة هذا

(١) أخرجها مسلم (٨) عن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (ص٤٣).

عمل، إيتاء الزكاة هذا عمل، صوم رمضان هذا عمل، حج بيت الله الحرام عمل.

قوله: «بُنِيَ الإِسْلَامُ»، هذا دليل على أن الإسلام أكثر من هذا، ولكن هذه مبانيه التي يُبنى عليها، والإسلام خصالٌ كثيرة -كما يأتي-، وفي حديث عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، وهو أن الإسلام هو هذه الخمسة، لكن حديث ابن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «بُنِيَ الإِسْلَامُ» يدل على أن هذه الخمسة ليست هي الإسلام كله، وإنما هي مبانيه وأركانه التي يُبنى عليها، وعلى كل حال فالحديث شاهدٌ لدخول الأعمال في الإيمان.



## بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:١].

---

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ): أمور جمع أمر؛ أي: الأشياء التي يكون منها الإيمان.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧])، هذه من أمور الإيمان، هذه الأشياء المذكورة في هذه الآية الكريمة من أمور الإيمان.

قوله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾: هذا ردٌّ على اليهود -الذين اعترضوا على تحويل القبلة-، بعد أن كانوا يصلون إلى

بيت المقدس حولهم الله إلى التوجه إلى الكعبة في الصلاة[١]، فكان الواجب عليهم أن يمتثلوا؛ لأن الأمر يدور على أمر الله وشرعه، وليس الإيمان على حسب الأهواء والرغبات، فإذا أمرك الله أن تتوجه إلى بيت المقدس، فتوجه، وإذا أمرك أن تتوجه إلى الكعبة، تتوجه، ولا تعترض، الإيمان لايتعلق بالجهة، وإنما يتعلق بأمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الله هو الذي يوجهك أن تتوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة، الواجب أن المسلم يدور مع أمر الله حيثما دار، ولا يعترض.

قوله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾: هذه أركان الإيمان، والإيمان ستة أركان: (الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، الإيمان بالقدر، والإيمان باليوم الآخر ويوم القيامة والبعث والنشور)؛ كما في الحديث الآخر[٢]، هذه هي أركان الإيمان.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٩٩، ٧٢٥٢)، ومسلم (٥٢٥): عَنْ البَرَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة:١٤٤]، فَوُجِّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ العَصْرَ»، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ قَدْ وُجِّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ العَصْرِ».

(٢) أخرجه مسلم (٨)، وفيه: «... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: الصدقة والإحسان إلى المحتاجين والأقارب، إذا كانوا محتاجين، فهم أولى من غيرهم.

قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: هو يحب المال، ومع هذا ينفقه في سبيل الله -وهو يحبه-، أما الإنسان الذي لا يتصدق إلا بالشيء الذي لا يحبه، هذا ليس تقربًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ﴾ [آل عمران:٩٢]، ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان:٨]، فهذا علامة الإيمان؛ أن الإنسان يقدم ماله الذي يحبه، يقدمه في طاعة الله، فيؤثر رضا الله على رضا نفسه، يؤثر حب الله على ما تحبه نفسه.

قوله: ﴿ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: اليتامى جمع يتيم، وهو الصغير الذي ليس له أب دون البلوغ، من مات أبوه وهو دون البلوغ، فهذا هو اليتيم؛ لأنه يحتاج إلى الإعانة؛ حيث لا عائل له.

قوله: ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾: هم الفقراء.

قوله: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: وهو المسافر المنقطع، الذي نفد زاده، وليس معه ما يبلغه، فيُعطى من الزكاة ومن الصدقات ومن التبرعات قدر ما يوصله إلى غرضه، أو يرجعه إلى أهله، هذا ابن السبيل المسافر المنقطع.

قوله: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: الذين يسألون الناس، السائل له حق ويُعطى، له حقٌّ عليك.

قوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: يؤتي المال في الرقاب -يعني: العتق-، يعتق الأرقاء العبيد، يعتقهم لله، يشتريهم ويعتقهم، أو يكونون في ملكه، فيعتقهم لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أقام الصلوات الخمس في وقتها مع الجماعة بطمأنينة، أقام الصلاة قانتًا، والصلاة عمل، فدل على أن العمل من الإيمان.

قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: زكاة المال قرينة الصلاة، فإيتاء الزكاة هذا عمل، وهو من الإيمان.

قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾: هذا -أيضًا- عمل، فالوفاء بالعهود هذا عمل، وهو من الإيمان.

قوله: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: في البأساء حال الشدة، فالمسلم يصبر في حال الشدة، والضراء؛ فإن ما يصيبهم الضر يصبرون، ولا يجزعون، يصبرون على قضاء الله وقدره، مع فعل الأسباب الواقية.

قوله: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾؛ يعني: وقت القتال، البأس المراد به: وقت القتال مع العدو، فيصبر إذا لاقى العدو، ولا يفر، ولا ينهزم، بل يقاتل.

قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾: إذا قاموا بهذه الأعمال، فهذا دليل على صدقهم وإيمانهم.

قوله: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: سمى هذه الأعمال برًّا، وسماها تقوى، فهذه من أعمال الإيمان، ومن أعمال التقوى، ومن أعمال البر، فهي بر، وإيمان، وتقوى، وهذا يدل على أن العمل من الإيمان.

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: هذا يدل على أن الإيمان يتناول الأعمال الظاهرة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ

هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون:١-٩]، هذه كلها أعمال، وهي داخلة في الإيمان؛ لأن الله فسر المؤمنين بأنهم هم الذين يقومون بهذه الأعمال العظيمة، وهذا واضح أن الأعمال من الإيمان، وأنه لا إيمان بدون عمل.



**٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ العَقَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ».**

---

قوله: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً»**: والبضع هو ما بين الثلاثة إلى التسعة على المشهور[١]، بضعٌ وسبعون أو وستون شعبة، فدل هذا على أن الإيمان يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة، بضعٌ وستون شعبة أي خصلة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، كما في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمانِ»**[٢]، فدل على أن القول من الإيمان.

**«أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»**، وإماطة الأذى هذا عمل وفعل، فدل على أن العمل من الإيمان.

قوله: **«وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»**: الحياء هو خلقٌ يكف الإنسان عما لايليق، عما يقبحه ويشينه، فهو من الإيمان، فدل هذا على أن الإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ وعملٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، وأنه شعب، وليس شيئًا

---

(١) انظر مادة (بضع) في: العين (١/ ٢٨٦)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٠٩)، والصحاح (٣/ ١١٨٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٥٧)، ولسان العرب (٨/ ١٥).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٥).

واحدًا، وإنما هو شُعب، من استكملها، قد استكمل الإيمان، ومن نقص شيئًا منها، نقص إيمانه؛ حسب ذلك، يزيد وينقص، وهذه الشعب هي كل الطاعات التي أمر الله بها من واجباتٍ ومستحبات، فهي من الإيمان.



## بَابٌ: المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

١٠ - حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ هُوَ ابْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَبْدُ الأَعْلَى، عَنْ دَاوُدَ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ.

---

قوله: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»، الإسلام عرفنا أنه يشمل الأركان والمباني التي يقوم عليها؛ كما في حديث عمر وحديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ويشمل كل الأعمال الصالحة، كلها من الإسلام، الإسلام ليس شيئًا واحدًا، بل هو أشياء كثيرة، كلها تدخل في الإسلام، وليس مقصورًا على الأركان الخمسة، بل هو شاملٌ لكل الطاعات، وتجنب المنهيات، هذا هو الإسلام، وأعظم ذلك ما في هذا الحديث؛ أن يسلم المسلمون من لسانه، ويسلم المسلمون من يده، هذا من الإسلام، بل هو من أفضل خصال المسلم، يسلم المسلمون من لسانه؛ فلا يسبهم، ولا يشتمهم، ولايغتاب، ولا ينم، ولا يمشي بالنميمة؛ لأن اللسان خطير، والكلام محصيٌّ عليك، لاسيما إذا كان فيه تعدٍ على الآخرين، فاحفظ لسانك عن أذية المسلمين، فاحفظه عما يؤذي المسلمين من الكلام البذيء؛

الكلام والشتم والسباب وغير ذلك من فُحش الكلام وهجر الكلام، فاحفظ لسانك عن إخوانك المسلمين، هذا من الإسلام، بل هو من أفضل خصال الإسلام.

قوله: «وَيَدِهِ»: فيسلم المسلمون من يده؛ فلا يتعدى عليهم بالقتل، أو بالضرب، أو بأخذ أموالهم.

واليد ذُكرت لأنها أغلب الأدوات والأعضاء التي يباشر بها الإنسان أعماله، فيحفظ يده عن الناس، لا يقتل أحدًا بغير حق، ولا يضرب أحدًا بغير حق، ولايأكل بيده أموال الناس ويستولي عليها، فيحفظ يده عن الظلم والتعدي على الناس، هذا هو المسلم، أما الذي لا يكف يده عن أذية المسلمين، ولا يكف لسانه، فهذا وإن كان مسلمًا لكنه ناقص الإسلام، يكون ناقص الإسلام، فالمسلم الكامل هو من يكف لسانه، ويكف يده عن الناس، هذا المسلم الكامل.

وكما سبق أن الإسلام والإيمان شيءٌ واحد، وكل مؤمنٍ مسلم، وليس كل مسلمٍ يكون مؤمنًا، فالإسلام الصحيح لا يكون إلا مع الإيمان، وقد عد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كف اللسان وكف اليد عن ظلم الناس عده من الإسلام، وهو بالتالي -أيضًا- من الإيمان؛ لأن الإسلام الصحيح لابد معه من إيمان، فمِن لَازِمِ الإسلام الصحيح الإيمان، وقد عد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذين الأمرين من الإسلام، فدل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

قوله: «**وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»: أصل الهجرة الترك، ترك الشيء هجرٌ له، هذا في اللغة[١]، قال تعالى: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥]، الرجز: الأصنام، واهجر يعني: اتركها، الهجرة في اللغة أصلها الترك.

وأما في الشرع: فالهجرة هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فرارًا بالدين[٢]، المسلم يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام محافظةً على دينه، وهي من أفضل الأعمال، وهي قرينة الجهاد في سبيل الله، والمهاجر يشمل من ترك الوطن فارًّا بدينه، ويشمل ترك الأشياء الضارة كلها؛ من هجر ما نهى الله عنه أي: تركه، فالهجرة بمعناها العام تشمل ترك كل قبيح وكل منكر، وليست مقصورةً على ترك الوطن والفرار بالدين، نعم هذا من أفضل أنواع الهجرة، ولكن ليست الهجرة محصورةً فيه، فيكفي أنك تهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وتترك وطن الكفر، ما يكفي هذا حتى تترك كل ما نهى الله عنه، كل ما نهى الله عنه تتركه إلى فعل الطاعة؛ «**المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**».

❁❁❁

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٥/ ٢٤٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص٢٨٨).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٩٢)، والكافي (١/ ١٨٧)، والمغني (٩/ ٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٤)، وفتح الباري (١/ ١٦)، وفتح القدير (١/ ٢١٨).

## بَابٌ: أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟

١١- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ».

---

الإسلام تتفاضل خصاله، وخصاله كثيرة وأعماله كثيرة، وهذه الخصال تتفاضل؛ بعضها أفضل من بعض، وهذه الأعمال بعضها أفضل من بعض، والمسلمون بعضهم أفضل من بعض؛ حسب ما يؤتيه الله عَزَّ وَجَلَّ، لا كما يقوله المرجئة[1]: إن الإسلام والإيمان شيء واحد، ولايتفاضل، ويقولون: الإيمان أهله في أصله سواء[2]. هذا غلط؛ ليسوا سواء، بل منهم المؤمن الإيمان الكامل، ومنهم الإيمان الضعيف، ومنهم المتوسط.

---

(١) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص ١٩٠).

(٢) هذا كلام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ وأصحابه الذين يسمون مرجئة الفقهاء، ونص عليه الإمام الطحاوي في كتابه: (العقيدة الطحاوية).
قال في الفقه الأكبر (ص٥٥): «والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال». وقال أيضًا (ص٥٩): «ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضا والخوف والإيمان في ذلك، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله».

قوله: (عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»): هذا مثل الحديث الذي قبله: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، وهذا فيه أن هذا أفضل الإسلام، هذا الحديث فيه أن كف اللسان وكف اليد عن أذية الناس أنه من أفضل خصال الإسلام، فدل على أن الإسلام يتفاضل، وبعضه أفضل من بعض، والمسلمون يتفاضلون؛ بعضهم أفضل من بعض؛ بحسب ما يؤتيهم الله من الطاعة وترك المعصية.



# بَابٌ: أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟

١١- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ القُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ».

---

الإسلام تتفاضل خصاله، وخصاله كثيرة وأعماله كثيرة، وهذه الخصال تتفاضل؛ بعضها أفضل من بعض، وهذه الأعمال بعضها أفضل من بعض، والمسلمون بعضهم أفضل من بعض؛ حسب ما يؤتيه الله عَزَّوَجَلَّ، لا كما يقوله المرجئة(١): إن الإسلام والإيمان شيء واحد، ولايتفاضل، ويقولون: الإيمان أهله في أصله سواء(٢). هذا غلط؛ ليسوا سواء، بل منهم المؤمن الإيمان الكامل، ومنهم الإيمان الضعيف، ومنهم المتوسط.

---

(١) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفِرق) (ص ١٩٠).

(٢) هذا كلام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وأصحابه الذين يسمون مرجئة الفقهاء، ونص عليه الإمام الطحاوي في كتابه: (العقيدة الطحاوية).

قال في الفقه الأكبر (ص٥٥): «والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال». وقال أيضًا (ص٥٩): «ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضا والخوف والإيمان في ذلك، ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله».

قوله: (عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»): هذا مثل الحديث الذي قبله: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، وهذا فيه أن هذا أفضل الإسلام، هذا الحديث فيه أن كف اللسان وكف اليد عن أذية الناس أنه من أفضل خصال الإسلام، فدل على أن الإسلام يتفاضل، وبعضه أفضل من بعض، والمسلمون يتفاضلون؛ بعضهم أفضل من بعض؛ بحسب ما يؤتيهم الله من الطاعة وترك المعصية.



## بَابٌ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلَامِ

**١٢- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمَا-، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».**

---

لما ذكر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في الحديث السابق حديث الشُّعب -شُعب الإيمان- أراد في هذه الأبواب أن يذكر شيئًا من هذه الشُّعب، ومنها: إطعام الطعام للمحتاجين؛ بما فيهم الفقراء، والمساكين، والضيف، وغير ذلك ممن يحتاج الطعام، فهذا من الإيمان، الذي يبذل الطعام للناس هذا يدل على إيمانه، وهذا من شُعب الإيمان، إطعام الطعام هذا من شُعب الإيمان؛ لأن المنافق بخيل لايُنفق؛ يقبضون أيديهم.

وذكر الله أن المنافقين يقبضون أيديهم؛ أي: عن النفقة وعن الصدقة، فالمؤمن الذي يبذل الطعام تقربًا إلى الله، هذا دليل أو هذا من إيمانه؛ يعني: من الإيمان إطعام الطعام، هذا من الإيمان من خصال الإيمان أو من شُعب الإيمان، والذي لا يبذل الطعام هذا من شُعب النفاق.

قوله: (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»**): الإسلام والإيمان يتفاضل، خصال شُعب الإيمان

هذه تتفاضل، بعضها أفضل من بعض، فإطعام الطعام هذا من خير خصال وشُعب الإيمان والإسلام؛ لأن المال مُحببٌ إلى النفوس، فإذا بذله صاحبه مع أنه يُحبه، آثر محبة الله على محبة المال، هذا من الإيمان، ما فعل هذا إلا بسبب الإيمان الذي في قلبه.

وكذلك من أفضل شُعب الإيمان وخصال الإيمان بذل السلام، وإفشاء السلام على الناس؛ يعني: إذا لقيت أخاك المسلم، تُسلم عليه، تبدؤه بالسلام؛ تحية أهل الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، والله جَلَّوَعَلَا هو السلام، ومنه السلام.

وبذل السلام ينزع ما في النفس من الحقد، والغل، والحسد، وغير ذلك، فإذا سلمت على شخصٍ، زال ما في قلبه من الظنون والهواجس نحوك، وإذا لم تسلم عليه، فإنه يجد في نفسه شيئًا من التخوف منك، فبذل السلام فيه خيرٌ كثير، وهو دعاءٌ للمُسلَّم عليه بالسلامة.

والبداءة بالسلام سُنَّة تُستحب، ورد السلام واجب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦]، فردها واجب، وإذا زاد عليها، هذا سُنَّة ومُستحب، فهذا من الإيمان، بذل السلام من الإيمان، ومن شُعب الإيمان.

وقوله: «عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»؛ لأن بعض الناس لا يُسلم إلا على من يعرف من أصدقائه ومُحبيه، أو لمن يرجوه ويتملقه، وهذا ليس من خصال الإيمان، ولا من شُعب الإيمان، ولا يأتي بالفائدة، إنما السلام على

الجميع على كل مسلم؛ كل من لقيت، إذا لقيته، فسلم عليه، من حقوق المسلم على المسلم إذا لقيته، فسلم عليه، سواءً كنت تعرفه، أو لا تعرفه؛ تُسلم عليه لأنه مسلم، وليس لأنك تعرفه فقط، بل لأنه مسلم، فهو شعار المسلمين؛ «**مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»، ابدؤوا بالسلام.



## بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

**١٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».**

---

كذلك من شُعب الإيمان المحبة، المحبة تكون لمن؟

تكون أولًا: لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثانيًا: الرسول.

ثالثًا: عموم المسلمين تُحبهم؛ لأجل الإسلام، ولأجل الإيمان، لا من أجل القرابة، أو من أجل الصداقة، أو من أجل أنه يُعطيك شيئًا من المال، أو من أجل طمع دنيوي، تُحبه لذلك؟! لا؛ بل تحبه لأنه مؤمن مسلم، فتُحبه لله وفي الله، هذا من الإيمان، من شُعب الإيمان المحبة، وهي ميل القلب، بالنسبة للإنسان هي ميل القلب.

أما المحبة من الله جَلَّ وَعَلَا لعباده، فهي صفة تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كسائر صفاته، والله يُحب المتقين، يُحب المحسنين، يُحب التوابين والمتطهرين؛ فهي محبةٌ تليق بجلاله -كسائر صفاته-، ليست كمحبة المخلوق.

قوله: (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»).

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»؛ يعني: الإيمان الكامل، المراد: كمال الإيمان، لأنه إذا لم يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه يكون كافرًا، لا، المراد نفي الكمال، لا نفي الأصل[1] -تنبهوا لهذا- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»؛ أي: لا يكمل إيمانه، «حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ» من الخير «مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»؛ لأن المؤمنين نفسٌ واحدة، نفسه مثل نفسك، تُحبه وتُجله، وتُعظمه وتحترمه؛ كما تُحب نفسك؛ لأنه أخوك في الدِّين، فتحب له من الخير ما تُحب لنفسك[2]، تُحب لنفسك المال الحلال، تُحبه لأخيك ولا تحسده، تُحب لنفسك الجنة، تُحبها لأخيك -أيضًا-، وترجوها له، تدعو له بها، فتُعامله كما تُعامل نفسك؛ لأنه أخوك.

إذا بلغ الإنسان هذه المرتبة، فقد كمُل إيمانه، وإذا لم يبلغها، فإن عنده نقص في الإيمان.

ومن لازم ذلك أن تكره له من الشر ما تكره لنفسك، فلا ترضى لأخيك الشر؛ كما أنك لا ترضاه لنفسك، فاتخذ نفسك مقياسًا مع المسلمين؛ ما تُحبه لها، تُحبه لإخوانك من الخير بأنواعه، وما تكرهه لنفسك من الشرور، تكرهه لإخوانك؛ فلا ترضاه لهم، هذه العلامة العظيمة والشُّعبة الكبيرة من شُعب الإيمان، فإذا تحققت هذ الصفة، حصل التوافق بين المسلمين والتراحم والتعاطف والتعاون، إذا توفرت هذه الصفة، حصلت ثمرتها، وإذا فُقِدت، فُقِدت ثمرتها، فلا يكون الإنسان أنانيًّا، لايُحب إلا لنفسه، ولا يُريد الخير

(١) انظر: كتاب الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) أخرجه بهذه الزيادة: «حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيْرِ» النسائي في الكبرى (٦/ ٥٣٤)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٠٦)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٧١)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٢٦٨)، وابن منده في الإيمان (١/ ٤٤١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلا لنفسه، هذه يُسمونها الأنانية، وهي ممقوتة، فيجب أن يكون الإنسان مع إخوانه يقيسهم على نفسه، ويُعاملهم كما يُعامل نفسه، ويرضى لهم ما يرضاه لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه.

خذ مثلًا: أنت لا تُحب أن أحدًا يغتابك، أو يستهزئ بك، أو يسخر منك، هذا لا تُحبه لنفسك، فلا تُحبه لأخيك، لا تغتب إخوانك، لاتسبهم، لاتستهزئ بهم، لا تتنقصهم؛ كما أنك لا ترضى هذا لنفسك، فإنك لاترضاه لإخوانك؛ لأن هذا شر.

كما أنك تُحب الثناء لنفسك، والمدح لنفسك، كذلك تمدح أخاك، وتُثني عليه بما هو أهله، ليس بالكذب بما هو أهله.

لا تُحب الذم لنفسك، فلا تذم إخوانك، ولا ترضاه لإخوانك.

ولا يكفي هذا، بل تُدافع عن إخوانك، إذا تنقَّصهم أحد، أو اغتابهم أحد، أو استهزأ بهم، فإنك ترد ذلك، إذا أرادهم أحدٌ بسوء بظلم، تُدافع عنهم؛ كما تُدافع عن نفسك: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يُسْلِمُهُ**»[1]؛ يعني: لا يتركه يهان، أو يُظلم، وهو يقدر على نصرته، يدفع عنه «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا**». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجِزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[1]، تمنع أخاك من الظلم، فذلك نصره، أما إذا تركته يظلم، فقد خذلته، تقول: ليس لي علاقة به، هذا شأنه، ولا أتدخل في شؤونه. نقول: لا، أنت تدفع عنه المكروه، وليس هذا تدخلًا في شؤونه بشيء يضره، إنما هذا تدخل بشؤونه بشيءٍ ينفعه؛ تأمره بالمعروف، تنهاه عن المنكر، ما تتركه في المعاصي والمخالفات، إن من شُعب الإيمان أن تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتنصحه.

كل هذا يترتب على قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».



(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٦٩٥٢) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

## بَابٌ: حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الإِيمَانِ

أولًا: محبة الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأنه المُحسن المُنعم الرَّب المتفضِّل، تُحبه وتألهه بالعبادة، وهذا الأصل، وأنت مخلوقٌ لهذا، خلقك الله لعبادته: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] تحبه حبًّا عظيمًا، لا يعدله حب، لا تساوِ بالله المحبوبين من الخلق، وسيأتي إنك تُحب الله أعظم مما تُحب نفسك وولدك ووالدك والناس أجمعين، فهذا هو الأصل، أما من أحب الله وأحب معه غيره، فهذا شرك المحبة -محبة العبادة- والذل والخضوع، هذا شرك، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]، والعبادة مبنية على الحب مع الذل والخضوع.

بعد محبة الله جَلَّ وَعَلَا تُحب أفضل الخلق، وأكثرهم إحسانًا إليك، أعظم الخلق إحسانًا إليك مَن هو؟ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله أنقذك به من الظلمات إلى النور، فهو الذي دلك وأرشدك وبيَّن لك طريق الخير، وبدون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُمكن أن تعرف الخير من الشر، والهدى من الضلال، إنما عرفنا هذا عن طريق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أولى الناس بالمحبة.

وهذه المحبة تقتضي اتباعه، والاقتداء به، والعمل بسنته، وترك ما نهى عنه، هذه المحبة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا مقتضاها، ليس من محبة الرسول أن تُحدث البدع؛ بدع الموالد، مناسبة المولد، تقول: هذا مولد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بل هذا شيء مبتدع، نهى الرسول ﷺ عن البدع، وهذا منها، فمن علامات صدق محبتك للرسول اتباعك للسُنَّة، وابتعادك عن البدع، إذا كنت تُحب الرسول ﷺ، فإنك تقتدي به، تفعل ما أمرك به، وتجتنب ما نهاك عنه، ومما نهاك عنه البدع المحدثات.

الذي يزعم أنه يُحب الرسول ﷺ، ويأتي بالبدع المخالفة لسُنَّة الرسول ﷺ هذا كذاب؛ إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ[1].

تَعْصِي الإِلَه وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا مَحَالٌ فِي القِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

فمن علامة صدق محبة الرسول ﷺ اتباعه، والاقتداء به، وترك ما نهى عنه، فمحبة الرسول ﷺ تأتي بعد محبة الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأنه هو الذي دلك على الخير، وعلمك، وبيَّن لك طريق الخير وطريق الشر، ونصح لك، فهو أعظم الخلق محبة بعد محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فقوله: (بَابٌ: حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ)؛ من شُعب الإيمان محبة الرسول ﷺ بعد محبة الله عَزَّ وَجَلَّ، وليس من محبة الله إحداث البدع المخالفة لسُنَّته ﷺ.

❁ ❁ ❁

---

(١) ينسب هذا البيت للإمام عبدالله بن المبارك، المتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، ولقي التابعين، وأكثر الترحال والتطواف إلى الغاية في طلب العلم والجهاد والحج والتجارة. انظر: ديوان عبد الله بن المبارك (ص١٥)، وتاريخ دمشق (٣٢/ ٤٦٩).

**١٤- حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ».**

---

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»، هذا قسم، أقسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الصادق المصدوق، هو صادق ولو لم يحلف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن حلف من باب الاهتمام بهذا الشيء؛ للتنبيه على أهميته.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**»؛ أي: لا يكمُل إيمانه، المراد نفي الكمال.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»، الذي لايحب الرسول أصلًا هذا ليس بمؤمن، ليس عنده إيمان، لكن الذي يُحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يُقدم محبته على محبة أحب الناس إليه -أحب الناس إليك مَن هو؟ والدك أو ولدك؛ والدك لأنه هو السبب في وجودك، وهو الذي ربَّاك، وها أنت تُحبه من باب المكافأة له، وولدك لأنك تُحبه محبة شفقة، تُحب الولد محبة شفقة-، فلا يكمُل إيمانك حتى يكون الرسول أحب إليك من والدك وولدك، من هذه المرتبة.

أما أصل محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه هي الإيمان، أما من لا يُحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كافر - نسأل الله العافية-، لكن ما يكفي أنك تُحب الرسول فقط، بل تُقدم محبته على محبة أقرب الناس إليك؛ والدك هو أقرب الناس إليك، ثم من بعده الولد، وفي

روايةٍ: «حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ»[(١)]، تقديم الولد على الوالد وردت رواية هكذا؛ لأن الولد تُحبه محبة شفقة ورحمة، والوالد تُحبه محبة إكرامٍ وإجلالٍ ومكافأة له على إحسانه إليك، فمحبة الرسول ﷺ لا بُد منها في الإيمان، الذي ما عنده محبة للرسول ﷺ ليس بمؤمنٍ أصلًا، ومحبته أكثر من محبة الوالد والولد هذا من كمال الإيمان؛ لأن بعض الناس يقول: أنا ما أقدم على والدي وولدي أحد. نقول: هذا جهل، تُقدم على والدك وولدك الرسول ﷺ؛ لأنه هو الذي هداك الله به، أخرجك من الظلمات إلى النور.

فهناك فرقٌ بين أصل المحبة وكمال المحبة، أصل المحبة لا بُد منه، وهو شرطٌ في الإيمان، وأما كمال المحبة، فهذا لا يناله إلا أفراد من الناس، أصل المحبة الآن لكل مؤمن، كل مؤمن عنده محبة للرسول ﷺ، لكن كمال المحبة أن يُقدم محبته على محبة أقرب الناس إليه.



(١) أخرجها مسلم (٧٠) (٤٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

**١٥ - حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ ابْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح قَالَ: وحَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».**

---

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**»؛ يعني: لا يكمل إيمانه «**حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ**»، ما قال: حتى يُحبني؛ لأن الذي لا يُحبه كافر، بل قال: «**أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ**»؛ زيادة على أصل المحبة، تنبهوا لهذا.



# بَابُ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ

من شُعب الإيمان أن يجد الإنسان حلاوة الإيمان؛ لأن كثيرًا من الناس مؤمن، لكن ما يجد حلاوة الإيمان، حلاوة الإيمان هذه شيءٌ زائدٌ على أصل الإيمان.

حلاوة الإيمان: أن تتلذذ بالطاعات، فإذا وجدت نفسك تتلذذ بالصلاة، بالصيام، بالجهاد في سبيل الله، تتلذذ بالطاعة، هذه حلاوة الإيمان، وأما إذا أتى العبد بالعبادة، وهو لا يتلذذ بها، فهذا فاقد لحلاوة الإيمان، فالإيمان له حلاوة، وهي ثمرة الإيمان، علامتها أن تتلذذ بالعبادة، تتلذذ بالطاعة ألذ من أي شيءٍ في الدنيا، وهكذا كان الصالحون يتلذذون بقيام الليل، يتلذذون بالصيام، يصبرون على المشقة، يتلذذون بالجهاد في سبيل الله، يُقدمون أنفسهم للجهاد في سبيل الله؛ لأنهم يجدون لذة لا يُعادلها شيء، فهذا من ثمرات الإيمان، ومن مكملاته.

أما الذي يأتي بالطاعة ممتثلًا لأمر الله ورسوله، ولكنه لا يجد اللذة، هذا يُعتبر مؤمنًا، لكنه فاقدٌ لهذه الصفة، فكذلك لا بُد من محبة الطاعة، من يكره الطاعة، هذا كافر، من يكره الصلاة، يكره الصيام، يكره الجهاد، هذا يُعتبر غير مؤمن، فكل مؤمن عنده محبة للطاعة، لكن الكلام على التلذذ، التلذذ بالطاعة شيءٌ زائد على الأصل؛ لأن العبادة فيها مشقة، فيها تعب للنفوس، ما يتلذذ بها إلا من كمُل إيمانه، وهذه هي الحلاوة التي يجدها المسلم.

**١٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».**

---

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ**»؛ يعني: ثلاث خصال من وجدهن، وجد حلاوة الإيمان، ما هي ثلاث الخصال؟ «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»، ما تقدم على محبة الله ومحبة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبة أي شيء؛ لا ولدك، ولا والدك، ولا الناس أجمعين -كما سبق-.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»، الدليل أنك تُقدم ما يُحبه الله على ما تُحبه نفسك، أنت تُحب الأشياء، وليس عليك لوم إذا أحببت الخير، لكن إذا تعارضت محبة هذه الأشياء مع ما يُحبه الله، وقدمت هذه الأشياء، هذا دليل على نقص المحبة لله، أما إذا قدمت محبة الله، هذا دليل على كمال الإيمان؛ ولهذا قال -سبحانه-: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤] ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾؛ أي: انتظروا -هذا وعيد- ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، هو -سبحانه- لم يعب علينا محبة هذه الأشياء الثمانية، لكنه عاب علينا إذا قدمناها على محبة الله، تأخرنا عن

الجهاد في سبيل الله، تأخرنا عن الهجرة إلى بلاد الإسلام؛ محبةً لهذه الأشياء، فإن هذا دليل على نقص الإيمان، ومعرضٌ صاحبه للوعيد: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾.

المهاجرون تركوا أموالهم وأولادهم وأوطانهم، وهاجروا في سبيل الله، انتقلوا إلى بلادٍ غير بلادهم التي نشؤوا فيها، ويحبونها حبًّا طبيعيًّا، تركوا أموالهم: ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾، تركوها، وهاجروا إلى الله ورسوله، هذا دليلٌ على كمال إيمانهم: ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، جاهدوا في سبيل الله، دخلوا المعركة، وفيها ضرب وجراح وقتل، دخلوا فيها، هم يُحبون الحياة، ليس هناك شك أنه لا أحد إلا ويحب الحياة، لكن الحياة رخُصت عليهم في مقابل رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا دليل على محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا دليل على صدق كمال المحبة لله؛ أن تؤثر ما يُحبه الله على ما تُحبه نفسك، أما إذا عكست؛ فضَّلت ما تُحبه نفسك على ما يُحبه الله، فهذا دليل على نقص الإيمان.

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ»، انظر: تتلذذ بهذه الأشياء؛ «وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ»؛ يعني: تلذذ بالطاعات.

«أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»؛ مما سواهما من جميع المحبوبات؛ فيُقدم محبة الله على محبة هذه الأشياء؛ فيتركها من أجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**الثانية**: «**وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»، هذا الحب في الله، تُحب المسلم لا لشيء إلا لإسلامه وإيمانه؛ ما تُحبه لأنه قريبك، ما تُحبه لأنه يُعطيك من المال، إنما تُحبه -ربما إنه ما يُعطيك شيء، ولا هو بقريبٍ لك أيضًا-، وإنما تُحبه من أجل الإيمان؛ أنه أخوك في الإيمان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحُجُرات:١٠] «**وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**»؛ لا يُحبه لأجل طمع دنيا، أو قرابةٍ، أو غير ذلك، إنما يُحبه لأجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

**الثالثة**: أن يكره ما يكرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من جميع الأشياء، انظر! أن يكره ما يكرهه الله؛ كما أنه يُحب ما يُحبه الله، فكذلك يكره ما يكرهه الله، الله يكره الكفر والشِّرك، فأنت تكره الكفر والشِّرك.

**الرابع**: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[1]، ليس هناك أحد يرضى أن يُقذف في النار المحرقة، المؤمن يكره أن يعود في الكفر أكثر مما يكره أن يُقذف في النار؛ ولذلك يصبر على أنه يُقذف في النار، ولا يترك دينه.

الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أُلقي في النار بسبب دينه، وصبر على هذا، صبر على إلقائه في النار، ويتمسك بدينه، هذه علامة حلاوة الإيمان التي في القلب؛ أن يكره الكفر كما يكره أن يُقذف في النار، فإذا بلغ هذه المرتبة، فهذا دليل على أنه وجد حلاوة الإيمان، التي صارت ألذ عنده من كل شيء.

❁ ❁ ❁

---

(١) هذه الرواية أخرجها البخاري (٢١، ٦٠٤١)، ومسلم (٦٧) (٤٣).

# بَابٌ: عَلَامَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ

من علامات الإيمان حُب الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ من خصال الإيمان ومن شُعب الإيمان.

الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مَن هم؟ الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ المراد بهم: أهل المدينة من الأوس والخزرج، الذين بايعوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند العقبة على أن يُهاجر إليهم، وأن يُناصروه، ويحموه، ويؤووه، فهاجر إليهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فصدقوا بما التزموا به، فأووا ونصروا، وبذلوا أموالهم، وشرَّكوا إخوانهم المهاجريين في أموالهم، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾؛ أي: من قبل المهاجرين، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]، هذه الآية في الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والتي قبلها في فقراء المهاجرين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، فلا بُد من محبة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كلهم -المهاجرين والأنصار- لا بُد من محبة الصحابة كلهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

لكن يُحب المهاجرين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لهجرتهم، ويُحب الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لنصرتهم لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكانوا في الأول يُسمون بني قيلة؛ نسبة إلى أمهم أو جدتهم، يُسمون الأوس والخزرج، ثم إن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سمَّاهم بالأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فهذه تسمية من الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهم إكرامًا لهم، فصاروا يُسمون بالأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

فمن كمال الإيمان أن يُحب الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن نقص الإيمان أن يكره الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل إذا كره الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكره الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهذه رِدة -والعياذ بالله-، لكن يُحبهم محبةً زائدة على المحبة -التي هي أصل الإيمان-؛ يعني: يزيد في محبتهم على غيرهم من المسلمين، وإلا المسلم يُحب كل المسلمين، لكن يزيد الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ محبةً على غيرهم، لماذا؟ لِما بذلوه من النُّصرة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيزيد هؤلاء محبةً على محبة غيرهم من المؤمنين؛ لتميزهم بهذه الخصلة، وهي النُّصرة.

فمن خصال الإيمان ومن شُعب الإيمان محبة الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وبناءً على ذلك لا يجوز تنقُّص أحدٍ من جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو ذكر شيء من معائبهم، وإنما يُثنى عليهم، ويُكرمون، ويُحترمون، فلا يجوز لمسلمٍ أن يتنقصهم بشيء، أو يلتمس لهم المعايب، وهذا من أصول أهل السُّنَّة والجماعة؛ محبتهم لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والترضي عنهم، وعدم تنقص أحدٍ منهم[1] قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي**

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية: (فصل: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، وَطَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلا نَصِيفَهُ**»، وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ). انظر: (العقيدة الواسطية) ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).=

**بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدَكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بلغ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»**[(١)]،
فلا يجوز ذكر شيء مما فيه تنقص لصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يجب الثناء عليهم واحترامهم ومحبتهم؛ لأن الله يحبهم؛ ولأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبهم[(٢)].

وقد سبق أن من حلاوة الإيمان أن تُحب المرء لا تُحبه إلا لله، الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أولى بذلك؛ أن تُحبهم لأجل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنت ما عاصرتهم ولا رأيتهم؛ لكن تُحبهم لأن الله أثنى عليهم ويُحبهم، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنى عليهم وأحبهم؛ فأنت تُحبهم من أجل ذلك.

❁ ❁ ❁

---

= قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَلا نُفْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلا نَذْكُرُهُمْ إِلا بِخَيْرٍ، وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ).
انظر: (العقيدة الطحاوية) تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/ ٦٨٩).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وأحمد (٤/ ٨٧)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٩١) من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»**.

**١٧- حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَبْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ».**

---

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابٌ: عَلَامَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ)، سبق بيان أن حب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلهم أمرٌ واجب على الأمة، والترضي عنهم، وعدم انتقاد أحدٍ منهم هذا من أصول العقيدة؛ خلافًا للفرق الضالة، التي تتكلم فيهم، أو في بعضهم؛ فهم حملة الشريعة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الذين وطد الله بهم الإسلام مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده، فمقامهم معروف في الأمة، ولا يجحد فضلهم إلا مكابر، أو عدو للإسلام والمسلمين.

ثم إن الله جَلَّ وَعَلَا جعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاضلون حسب ما قاموا به، فالمهاجرون الذين انتقلوا بدينهم، وتركوا أموالهم وأوطانهم وأولادهم؛ لأجل نصرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد معه، لهم فضلهم الخاص بهم، كذلك الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين آووا ونصروا، استقبلوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستقبلوا المسلمين، وواسوهم بأموالهم وممتلكاتهم أيضًا لهم فضل النصرة والإيواء: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩]، فالأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم ميزة النصرة والإيواء.

فقبل إسلام الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومبايعتهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإسلام في ضيق من أعدائه، فلما بايعوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيعة العقبة،

وانتقل المسلمون إليهم، صار للمسلمين قوة، صار لهم هيبة، فهذا من فضل الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نعرف لهم فضلًا.

ولهذا قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابٌ: عَلَامَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ)؛ لقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الحديث الذي يسوقه المصنف.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ**»، الآية هي العلامة[1]، فعلامة الإيمان «**حُبُّ الأَنْصَارِ**».

إذا رأيت الرجل يحب الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فاعلم أنه مؤمن، وعلامة النفاق: «**وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»، فإذا رأيت من يتكلم في الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو في أحدٍ منهم، فاعلم أنه منافق، يظهر الإسلام، ويبطن الكفر والإلحاد -والعياذ بالله-[2].

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»، والبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يريد من هذا الاستدلال على أن الأعمال من الإيمان، فالمحبة عملٌ قلبي، وقد عدها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان.



---

(١) انظر: الصحاح (٦/ ٢٢٧٥)، ومقاييس اللغة (١/ ١٦٨)، ولسان العرب (١٤/ ٦٣)، وتاج العروس (٣٧/ ١٢٢).

(٢) انظر: الصارم المسلول (٣/ ١١١١،١٠٥٥). وانظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٠).

**١٨ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ عَائِذُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ».**

---

هذا الحديث فيه بيان بيعة الأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند جمرة العقبة، والعقبة هي الجبل المرتفع[1]، بايعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المكان[2].

وصيغة هذه المبايعة رواها عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحَدُ النُّقَبَاءِ، والنقباء جمع نقيب.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتخذ منهم نقباء؛ اثني عشر نقيبًا؛ مثلما اتخذ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بني إسرائيل اثني عشر نقيبًا، والنقباء هم العرفاء، الذين يربطون من تحت أيديهم، ويكونون مسؤولين عمن انضموا إليهم أمام ولي الأمر،

---

(١) انظر مادة (عقب) في: العين (١/ ١٨١)، والمحكم لابن سيده (١/ ٢٤٣)، ولسان العرب (١/ ٦٢١).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٣١ -٤٣٤)، والروض الأنف (٤/ ٤٧)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٧٩)، وتاريخ الطبري (٢/ ٣٥٦).

أمام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمنهم عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي روى صيغة البيعة، وهي بيعة النساء؛ مثلما بايع النساء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢].

هذه البيعة لها بنود، وهي بيعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عند العقبة؛ لأنه لم يكن وقتها جهاد في سبيل الله، الجهاد إنما فرض فيما بعد.

ويبدأ أولًا: بألا يشركوا بالله شيئًا، بدأ بالعقيدة -وهي: عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه-؛ لأنها الأساس.

وثانيًا: ألا يسرقوا، والسرقة هي أخذ المال على وجه الخفية من الحِل، ومن المأمن[(١)].

والسارق ملعون في الحديث: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ»[(٢)]، والسرقة كبيرة من كبائر الذنوب، بعد الشرك، ثم بعده بقية الكبائر.

---

(١) انظر: مادة (سرق) في لسان العرب (١٠/ ١٥٥)، ومختار الصحاح (١/ ١٢٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٥٤)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٢٧). وانظر: في تعريف السرقة: أسنى المطالب (٤/ ١٣٧) (وَهِيَ لُغَةً: أَخْذُ الْمَالِ خُفْيَةً، وَشَرْعًا: أَخْذُهُ خُفْيَةً من حِرْزِ مِثْلِهِ بِشُرُوطٍ). وانظر: الحاوي الكبير (١٣/ ٣١٤)، والاستذكار (٧/ ٥٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ» قَالَ الأَعْمَشُ: (كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الحَدِيدِ، وَالحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ).

**ثالثًا**: «**وَلَا تَزْنُوا**»، والزنى -والعياذ بالله- أيضًا من أعظم الكبائر، وهو مضيعٌ للأنساب، وجالبٌ للأمراض، وفيه آفات كثيرة: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢].

**رابعًا**: «**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ** » أيضًا؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يقتلون الأولاد، البنات يقتلونهن خشية العار، والأولاد الذكور يقتلونهم خشية الفقر: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾؛ فقر.

وبعضهم يقتلهم للأصنام، يتقرب بهم إلى الأصنام بقتلهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ [الأنعام:١٣٧]، يتقربون بقتل أولادهم للأصنام، بلغ بهم الحد إلى هذه الجريمة القبيحة، شرك وقتل للأولاد -والعياذ بالله-، أقرب الأقارب!!

**خامسًا**: «**وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ**»، والبهتان هو الكذب، سُمي الكذب بهتانًا لأن الكاذب يبهت المكذوب عليه، «**تَفْتَرُونَهُ**»؛ أي: يكذبونه ويصطنعونه، «**بَيْنَ أَيْدِيكُمْ**» وأرجلهم، قصد الأيدي والأرجل؛ لأنها أدوات الكسب؛ فالرِجل تمشي، واليد تبطش، وتأخذ، وتعطي. فهذا هو البهتان.

**سادسًا**: «**وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ**»؛ ولا يعصون الله عَزَّوَجَلَّ. قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ أَصَابَ**»؛ يعني: وقع في شيءٍ من هذه المعاصي، وقع منه سرقة، وقع منه زنى، وقع منه قتل.

قوله ﷺ: «مَنْ وَفَى» بهذه البيعة «فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ»، ومن وقع في شيءٍ دون الشرك -سرقة، أو زنى، أو قتل نفس، أو غير ذلك من الكبائر-، فإن أقيم عليه الحد، وعوقب في الدنيا، فهذا كفارته مع التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

إذا تاب وأقيم عليه الحد؛ فلا يجمع الله له بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، مع التوبة، ومن «سَتَرَهُ اللهُ»، ولم يعاقب، وتاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أو ما تاب، فأمره إلى الله؛ إن شاء عذبه، و«إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ».

وهذا كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، هذا دليل على أن المعاصي تنقص الإيمان، وتوجب لعقوبة؛ ردًا على المرجئة، الذين يقولون بدل المعاصي: ما نقص الإيمان. وهذا ردٌ على الخوارج ومن ذهب إليهم -الذين يكفرون المسلم بالكبيرة-، الرسول ﷺ ما قال: يكفر. بل قال: «فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»[1]، فهذا دليل على أن مرتكب الكبيرة التي دون الشرك لايكفر؛ «فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، هذا مذهب أهل السُنة والجماعة في الإيمان ومرتكب الكبيرة.

وفي هذا الحديث فضل الأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لأن الرسول ﷺ بايعهم عند العقبة.



(١) هذه الرواية أخرجها البخاري (٤٨٩٤، ٧٢١٣)، ومسلم (١٧٠٩).

## بَابٌ: مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ

**١٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ».**

---

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ)، والفتن جمع فتنة وهي الاختبار والابتلاء[1]؛ الاختبار والابتلاء في الدين؛ يعني: يضايق من الكفار، ومن أعداء الله على دينهِ، يعذب على دينه، إذا صلى، إذا فعل شيئًا من الطاعات، يعاقبونه؛ لأنهم يريدون منه أن يبقى على الكفر، فالكفار لايزالون إلى يوم القيامة هذا دأبهم مع المسلمين؛ مع أنهم لا يألونهم خبالًا، ولا يألونهم ضررًا أبدًا.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٩]، فلا نحسن الظن بالكفار أبدًا، لم نعتبرهم أعداءً للمسلمين،

---

(١) قال الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/ ٢١١): (جِمَاعُ مَعْنى الفِتْنَةِ فِي كَلَام الْعَرَب الابْتَلاءُ والامْتِحَانُ، وَأَصلهَا مأخوذٌ من قَوْلك: فَتَنْتُ الفِضّةَ والذَّهَبَ إِذا أذبتهما بالنَّار ليتميز الرَّدِيء من الجَيِّد). وانظر مادة (فتن) في: الصحاح (٦/ ٢١٧٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤١٠)، ولسان العرب (١٣/ ٣١٧).

لكن لايمنع هذا أننا نعقد العهود معهم، ونتعامل معهم بالمباح، نبيع ونشتري معهم، لا يمنع هذا، وأن نحسن إلى من لم يصدر منه أذى إلى المسلمين: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة:٨]، لا يمنع هذا، تعامل معهم بحدود الشرع، ليس معناه إننا نقاطعهم نهائيًّا، بل نتعامل معهم في المباح؛ تبادل المصالح؛ ولأجل كف شرهم عن المسلمين، الرسول ﷺ تعامل معهم، عاهدهم، أبرم العهود معهم -كما هو معلوم-، إنما الكلام على أننا لا نودهم في القلوب وهم كفار؛ لأنهم أعداء الله، فنحن نبغضهم، ولكن نتعامل معهم في تبادل المصالح، ولا نقتل المعاهد، ولا المستأمن، ولا نعتدي عليه، ولانظلمهم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، ما يجوز الظلم أبدًا -لا للمسلم ولا للكافر-، ما يجوز الظلم، الله أمر بالعدل، فينبغي أن نعرف هذا الأمر؛ لأنه التبس على بعض الناس طلبة العلم الصغار، التبس عليهم، أو المضللين الذين يريدون تشويه الإسلام التبس عليهم هذا الأمر، أو لبّسوه هم، فقلبوا الأمر، ويخونون العهود، ويسفكون الدماء، ويقولون: هذا من الجهاد في سبيل الله، لا، ليس هذا هو الجهاد في سبيل الله؛ فالجهاد في سبيل الله له ضوابط، وله أحكام، وأما هذا، فيسمى بالعدوان، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧]، يجب أن نعرف موقفنا مع الكفار؛ أننا لانحبهم؛ لأنهم أعداء الله، لكن لا يمنع ذلك أن نعدل فيهم، لا يمنع -أيضًا- أن نتعامل معهم في المباح، لا يمنع أن نتعاهد معهم، لا يمنع أننا نؤمِّن من طلب الأمان بغرضٍ صحيح، ولا نعتدي عليه، ونفي معه، هذا

واجب على المسلمين. الولاء والبراء شيء، والأحكام الشرعية معهم شيء آخر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»**).

الحديث هذا تحت ترجمة من الإيمان الفرار بالدين من الفتن، فالمؤمن أغلى ما عليه دينه، أغلى ما عند المؤمن دينهُ؛ فلا يساوم عليه، فإذا حيل بينه وبين دينه ببلد، ينتقل إلى بلدٍ آخر: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠]، فيهاجر المسلم، إذا خاف الفتنة في دينه، يهاجر إلى بلدٍ لا يفتن فيه في دينه.

والله وسع الأرض، ولو حصل عليه خطر، أو حصل عليه شدة، ولم يستطع الهجرة، يصبر، وسيجعل الله له فرجًا، الله لا يديم الشدة على المسلم، سيجعل الله له فرجًا.

فليهاجر بدينه، هذا دليل على إيمانهُ، والهجرة عمل، فدلّ على أن العمل يدخل في الإيمان، والذي لا يهاجر بدينه، ويتمكن من الهجرة هذا دليل على ضعف إيمانه، ما نقول: إنه يكفر، الذي يترك الهجرة من غير عذر هذا مخطئ وعاص، لكن ما نقول: إنه يكفر، لكن عليه وعيد شديد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٧]، هؤلاء الذين لم يهاجروا، وقتلوا، قتلوا في واقعة بدر، ما عرفهم المسلمون، قتلوا بسبب

أنهم مع الكفار، السبب أنهم ما هاجروا، فصاروا مع الكفار، وأجبروهم على الخروج معهم، لو هاجروا مع المسلمين، لسلموا، فهذه جريمة، وهذا ذنب؛ ترك الهجرة مع القدرة عليها، وهي تضعف من الإيمان، وتعرض الإنسان لخطر في دينه، فالهجرة من الإيمان، والهجرة عمل، والعمل داخلٌ في الإيمان -كما هو معروف.

قوله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ**»؛ يعني: يقرب، «**يُوشِكُ**»؛ يعني: يقرب «**أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ**» للإنسان في آخر الزمان «**غَنَمٌ**»؛ يكون معه غنم، ما معه مليارات، ولا أرصدة، ولا، إنما هو غنيمات يسيرة، يحلب منها، ويشرب، ويأكل من لحومهم، وينتفع بها.

قوله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ**» للإنسان في آخر الزمان «**غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ**»؛ الرعي، ويسلم على دينه.

يرعى غنمًا بدل أنه يصير في عمارات، وفي قصور، وفي ملايين ومليارات من الأموال، إذا صار بقاؤه في المدن على خطرٍ في دينه، فكونه يفر بدينه ولو على أقل شيء من العيش، خيرٌ له التمسك بدينه، ولو ترك المال.

الدين هو رأس المال، وهو النجاة، أما الثروة والمال، فلا تنفع الإنسان في آخرته، إذا لم يكن على دين وعلى إيمان.

وهذا دليل على كثرة الفتن في آخر الزمان، وأن المسلم يبتعد عنها مهما أمكنه ذلك، ولو على قلة من العيش، ولو لم يسكن في القرى والمدن، يكون في البرية، وليس عنده رفاهية مادام أنه متمسك بدينه، هذا خيرٌ له، وهذا دليل

على الإيمان؛ لأنه ما أقدم على هذا الشيء، إلا من قوة الإيمان، فالفرار من الفتن في آخر الزمان من الإيمان، والفرار من الفتن عمل، فدلّ على أن العمل داخلٌ في مسمى الإيمان، وهذا غرض المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ**»، والمسلم هو المؤمن.



## بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ»، وَأَنَّ المَعْرِفَةَ فِعْلُ القَلْبِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قوله ﷺ: «**أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ**»، لما حثّ النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على التيسير، وعدم المشقة على أنفسهم في العبادات، وأن يقتصدوا في العبادة، ولا يشقوا على أنفسهم، قالوا للرسول ﷺ: نحن بحاجة إلى العبادة والمشقة، أما أنت، فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، أما نحن، فلم يغفر لنا، نحن بحاجة إلى زيادة من العبادة. ولا يريدون التيسير والتسيير، يريدون أن يتعبوا أنفسهم.

فغضب ﷺ، وقال: «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا**»، فدلّ على أن العلم يتفاوت، وأن بعض الناس أعلم من بعض، ويلزم من ذلك أن الإيمان -أيضًا- يتفاوت، وأن بعض الناس أقوى إيمانًا من بعض، فأقوى المسلمين إيمانًا هو الرسول ﷺ، ومع هذا حثّ على التيسير، ورغّب فيه، ونهى عن التشدد، وعن المشقة، نهى الذي يقوم الليل كله، ونهى الذي يصوم الدهر، نهاهم عن ذلك(١)، وأمر بإعطاء النفس شيئًا من الراحة

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس رضي الله عنه قال: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي».

والمتعة، وعدم المشقة عليها؛ لأن العمل اليسير مع المداومة خيرٌ من العمل الكثير الذي ينقطع.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»[(١)]؛ شيءٌ يسير من الطاعة تداوم عليه أحسن من شيءٍ كثير ينقطع؛ لأن الذي يتشدد ويشق على نفسه لابد ينقطع؛ لأنه يعجز نفسه؛ كالدابة إذا حملها ما لاتطيق، عجزت: «**إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى**»[(٢)]، المسلم يشتغل على نفسه، ويداوم على الطاعة -ولو كانت قليلة-، يقوم من الليل، ويداوم على هذا، يصوم -أيضًا- من التطوع، ولايداوم عليه.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصوم ويفطر، قال: «**وأما أنا أَصُومُ وَأُفْطِرُ**»، يصوم ويفطر، ولا يصوم دائمًا، ولا هو يقوم كل الليل ولا ينام أبدًا، بل ينام ويقوم من الليل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ**»، وهو أفضل الخلق وأعلم الخلق، فهذا يدل على أن من الإيمان أن الإنسان يتّبع اليسر والسهولة مع نفسِهِ، ويداوم على العمل الصالح؛ مثلًا يقوم الليل كله، ثم الليلة الثانية يعجز، ولا يقوم أبدًا، ينام؛ لأنه متعب، لو أنه قام من الليل يسيرًا، لسهل عليه المداومة على قيام الليل، هذا شيء معروف.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ المَعْرِفَةَ فِعْلُ القَلْبِ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥])، نعم (المَعْرِفَةَ فِعْلُ القَلْبِ)، وهي من الإيمان، فالإيمان ليس باللسان فقط، الإيمان يكون باللسانِ وبالقلب وبالعمل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٧٨٣)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٤١٥)، ووكيع في الزهد (١/ ٤٨٩).

قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، هذا قولٌ باللسان، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، وفي الآيـة الأخـرى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩]، فالعمل يكون باللسان، ويكون بالاعتقاد، ما يكون باللسان فقط -كما هو قول الكرَّامية من فِرق المرجئة-، الإيمان يكون باللسان، ويكون بالقلب، ويكون بالعمل، لابد من هذه الأمور الثلاثة.

لما فرغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكر أن الأعمال من الإيمان، ذكر أن عمل القلب -أيضًا- من الإيمان؛ اعتقاد القلب، فالذي يقول: إن الإيمان باللسان فقط هم الكرَّامية، ويلزم على هذا أن المنافقين مؤمنون، مع أنهم: ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

فلا يكفي اعتقاد القلب مع عدم النطق، ولا يكفي النطق مع عدم عمل القلب، لابد من الأمرين: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[١]، ما اقتصر صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، بل قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»، فلابد من عمل القلب وإخلاص القلب.

ووجه الدلالة من الآية ظاهر: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، ما يؤاخذك الله بالكلام بدون اعتقاد القلب، اليمين ما كان عقد، ولا يصل إلى الكفارة، إلا إذا صحبها اعتقادٌ بالقلب، أما مجرد اليمين باللسان، فهذا يعتبر من اللغو.

(١) أخرجه البخاري (٩٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

**٢٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا»».**

---

قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ»؛ بما تتحمله نفوسهم وأبدانهم، أما الشيء الذي يخرج عن الطاقة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، لا نكلف نفسًا إلا وسعها.

الإنسان لا يحمل نفسه ما لا تطيق، ويظن أن هذا طاعة لله، هذا ليس طاعة لله، بل هذا من التكّلف والتشدد، الاعتدال المطلوب هو الاعتدال بين التساهل والتفريط، وبين التشدد والإفراط، هذا عمل المسلم اعتدال، وهو عمل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أتقى الخلق لله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمله الاعتدال بين الصيام والإفطار، بين القيام والنوم، بين تزوج النساء وبين الصبر والاحتساب فيه.

قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ»، هذا هو السبب، لما حثهم على الاقتصاد في العبادة، قالوا: نحن بحاجة إلى التشدد، وإلى....، أما أنت فلست بحاجة؛ لأن «اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»، فغضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه المقالة؛ لأنه هو القدوة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١]، ويجب أن يقتدوا به، هذا من ناحية.

**الناحية الثانية:** أنه أعلم الخلق بالله عَزَّوَجَلَّ، فهو علَّمه الله أن هذا هو الطريق الصحيح الاعتدال، الاعتدال والتوسط بين الإفراط والتفريط هذا الطريق الصحيح المستقيم.

قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ»، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الأنعام:١٥٣] من السبل، من السُّبل الضالة التشدد، ومن السُّبل التساهل، الطريق الصحيح هو الاعتدال، وهو صراطُ الله.

قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ»؛ يعني: التمسوا العذر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في توسطه واقتصاده واعتداله في العبادة، التمسوا له العذر، قالوا: «إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»، أما نحن، فبحاجة إلى الأعمال الكثيرة؛ لأننا أهل ذنوب وأهل معاص، ولم يغفر لنا.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضب عليهم في هذه المقالة؛ لأنها مخالفة في سُنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ»، غضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه المقالة، حتى عرف «الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (ثُمَّ يَقُولُ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا»)، ليس لأجل أنه غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بل إنه توسط في العمل؛ لأن هذا هو الذي يستطاع: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن:١٦]، أما الشيء الذي لا تستطيعه، فهذا لا تكلف به.

فهذا دليل على أن الاعتدال والتوسط في الدين من الإيمان، وأما التشدد والغلو، فهذا ليس من الإيمان، وكذلك التساهل والتضييع ليس من الإيمان، الإيمان هو الاعتدال، والاعتدال عمل فدلّ على أن العمل من الإيمان.



# بَابٌ: مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الإِيمَانِ

٢١- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ».

---

نعم، إذا كره الكفر -كره أن يترك دينه ويكفر-؛ كما يكره أن يقذف في النار، فهذا دليل على صحة إيمانه وصدق إيمانه. كونه يؤثر أن يلقى في النار، ولا يرتد عن دينه، هذا دليل على صدق إيمانه، والكراهية عمل من الأعمال، الكراهية عملٌ قلبي، فدلّ على أن الأعمال من الإيمان، سواءً كانت أعمالًا قلبية، أو أعمالًا بدنية.

هذا مراد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه التراجم؛ لأن الكتاب كله «كتاب الإيمان»، هذا الموضوع كما سبق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»، هذا سبق الحديث عنه، وسبق الكلام عليه، لكن أعاده؛ ليستدل به على أن كراهية الكفر من الإيمان، والكراهية عملٌ قلبي، فدلّ على أن العمل من الإيمان، سواءً كان عملًا قلبيًّا أو عملًا بدنيًّا.

## بَابٌ: تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فِي الأَعْمَالِ

٢٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى المَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ -شَكَّ مَالِكٌ- فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: الحَيَاةِ، وَقَالَ: خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ.

---

من مباحث الإيمان أنه يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وكلما أطاع العبد الله، زاد إيمانه بالطاعة، وكل ما عصى الله، نقص إيمانه، إلا إذا كان هذا شركًا أكبر؛ فإنه يبطل إيمانه، أما إذا كان الذنب دون الشرك، فإنه ينقص الإيمان، ولا يبطله -هذا مذهب أهل السنة والجماعة المبني على الكتاب والسنة-؛ خلافًا للمرجئة الذين يقولون: إن الإيمان شيء واحد، وأهله في أصله سواء، لا يزيد ولا ينقص.

وهذا مخالفٌ للأدلة من الكتاب والسنة، ومخالفٌ لعقيدة أهل السنة والجماعة -من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين ومن جاء بعدهم-؛ لذلك عقد له الإمام البخاري هذا الباب؛ لأن أهل الإيمان يتفاضلون، بعضهم أقوى إيمانًا من بعض.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**» قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: الحَيَاةِ، وَقَالَ: خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ).

هذا الحديث فيه أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، أهل النار يدخل معهم الكفار والمشركون، وهؤلاء يخلدون في النار، ويدخل معهم عصاة الموحدين، عصاة المؤمنين يدخلون النار، إذا شاء الله تعذيبهم، يدخلون النار، ويحترقون فيها، فيكونوا كالفحم، ثم يقول الله: «**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا**»، فيخرجون من النار، وهم فحم، متفحمون -والعياذ بالله-، «**فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ -شَكَّ مَالِكٌ- فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**»، ثم بعد ذلك إذا تكامل خلقهم، وعادت أجسامهم، يؤذن لهم بدخول الجنة، والشاهد من هذا الحديث واضح أن من المؤمنين من يكون في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل، دل على أن الإيمان ينقص، حتى يصل إلى هذا المقدار، قال: «**مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»، هذا الشاهد من الحديث.

❁ ❁ ❁

**٢٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ».**

---

حديث رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرؤيا منها ما هو حق، ورؤيا الأنبياء من الوحي، رؤيا الأنبياء تختلف عن غيرهم؛ فرؤيا الأنبياء من الوحي، رأى الناس يعرضون عليه وهو في الرؤيا، عليهم ثياب، وهذه الثياب هي الإيمان، وهي متفاوتة -يعني: متفاوتون في ثيابهم طولًا وقصرًا-، منهم من يبلغ ثوبه إلى ثدييه، إلا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -الخليفة الراشد، ثاني الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-؛ فإنه رأى عليه ثوبًا يجر ضافيًا عليه، فسئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تفسير هذه الرؤيا، فقال: إنها الدين، والدين والإسلام والإيمان بمعنى واحد، إنها الدين، فبعض الناس دينه كامل، وبعضهم دينه أقل من ذلك، حسب درجاتهم في الإيمان، دل على أن الإيمان يزيد ويكمل؛ كما أنه ينقص في بعض الناس، الناس في الإيمان ليسوا على حد سواء.

❁ ❁ ❁

## بَابٌ: الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ

**٢٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْهُ؛ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ».**

---

الحياء تقدم أنه شعبة من شعب الإيمان الست والسبعين، أو البضع والسبعين، أو البضع والستين شعبة، منها الحياء، الحياء خلق وعملٌ قلبي، يمنع الإنسان مما لا يليق، والذي يرزقه الله الحياء، فإنه يمتنع من الرذائل، ويمتنع من العيوب، ويتحلى بالصفات الطيبة، الحياء خير، وعدم الحياء نقص، قال ﷺ: **«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»**[1]، فدل على أن من فقد الحياء، فإنه يصنع ما شاء من العيوب والرزايا.

**والشاهد من هذا:** أن الأعمال من الإيمان؛ لأن الحياء عمل القلب، فهو شعبة من شعب الإيمان، ومن قل حياؤه، قل إيمانه، ومن فقد الحياء نهائيًا، نقص إيمانه نقصًا كبيرًا، هذا الحياء، وهو الذي يمنع من الشر، ويجمل الأعمال والأخلاق الطيبة، هذا هو الحياء المحمود، وأما الحياء الذي يمنع

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٣، ٦١٢٠).

الإنسان من طلب الخير، وطلب العلم، فهذا لا يسمى حياءً، يسمى الخجل، هذا خجل، نقص.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**»)، هذا مثل الحديث الذي قبله، مر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه -أي: يلومه على ما فيه من الحياء-، فَقَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**دَعْهُ**»؛ أي: اتركه، «**فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**»، هذا دليل على أن الحياء شعبة من شعب الإيمان، وهو عملٌ قلبي، وفيه دليل على دخول الأعمال القلبية في الإيمان.



# بَابٌ

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

---

الله جَلَّوَعَلَا أمر بقتال المشركين والكافرين، الذين يصدون عن دين الله، ويؤذون المسلمين، ويضايقونهم، ويحاولون معهم أن يرتدوا عن دين الإسلام، هذا شأن الكفار والمشركين مع المسلمين؛ أن المشركين دائمًا يريدون ألا ينتشر الإسلام، ويصدون عنه من يريد الدخول فيه، ومن دخل فيه، حاولوا إخراجه منه بمخططاتهم وكيدهم دائمًا وأبدًا، فهؤلاء أمر الله بقتالهم؛ كفًّا لشرهم عن الإسلام والمسلمين.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾؛ أي: رجعوا عن الكفر والشرك إلى الإسلام، نطقوا بالشهادتين، ثم أتبعوا ذلك بالأعمال؛ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، لا تقاتلوهم.

قال تعالى: ﴿تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، لم يكتفِ بقوله: ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ بل قال: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، دل على أنهم لو تابوا بألسنتهم، لكنهم أبوا أن يقيموا الصلاة، وأبوا أن يؤتوا الزكاة؛ أنه لا يخلى سبيلهم، بل يقاتلون، فهذا دليلٌ على دخول الأعمال في الإيمان؛ لأن التوبة والنطق بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هذه أعمال، والله جَلَّوَعَلَا حكم لمن أتى بها أن يخلى سبيله، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١]، إخوانكم في الدين؛ فهذا دليل على دخول الأعمال في حقيقة الإيمان، ودليلٌ على أن الإيمان لا يكون بالنطق فقط باللسان -كما هو مذهب الكرامية من المرجئة-، بل لابد من العمل.



**٢٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْنَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ ابْنُ عُمَارَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».**

---

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ**»؛ أي: أمرني ربي أن أقاتل الناس بعد الدعوة.

أولًا: الدعوة، فمن قبل، فالحمد لله، ومن لم يقبل بعد دعوته، فإنه يُقَاتَل: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**»، فهذا فسر الآية التي قبله، فسر الآية التي ذكرها الشيخ قبله؛ قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾، بين أن معنى التوبة أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، هذا معنى التوبة.

ودل الحديث على ما دلت عليه الآية؛ أنه لا يكفي النطق بالشهادتين، بل لا بد من العمل بمقتضاهما، لا بد من العمل بمقتضى الشهادتين، وليستا مجرد لفظ يقال باللسان من غير عمل، فدل على أن العمل داخلٌ في حقيقة التوبة، وفي حقيقة الإسلام، وفي حقيقة الإيمان.

قال ﷺ: «**عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ**»، إذا فعلوا ذلك، عصموا؛ يعني: منعوا مني دماءهم؛ فلا يجوز قتالهم بعد ذلك، إلا بحق الإسلام، فإذا امتنعوا من فريضة من فرائض الإسلام -إذا امتنعوا من الصلاة، أو امتنعوا من أداء الزكاة، وإذا امتنعوا عن ركن من أركان الإسلام، وعن شعيرة من شعائر الإسلام-، فإنهم يقاتلون على ذلك؛ كما قاتل الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لقوله ﷺ: «**إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ**»؛ أي: بحق الشهادة بأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

قال ﷺ: «**وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»؛ فيه دليل على أنه يقبل من المرء ظاهره، فإذا أظهر الإسلام، يقبل منه، ويكف عنه، حتى يظهر منه ما يخالف ذلك، وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، كونه صادقًا في توبته أو كاذبًا الله أعلم بذلك، هذا ليس إلينا، الله هو الذي سيحاسبه، ونحن نحكم على الظاهر، وأما البواطن، فلا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

❁ ❁ ❁

## بَابُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ العَمَلُ

لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف:٧٢]، وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] عَنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقَالَ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات:٦١].

---

دليل من قال هذا القول -أن الإيمان هو العمل- قول الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٣٢]، ما قال: ادخلوا الجنة بما كنتم تؤمنون، بل نص على العمل، فدل على أن الإيمان هو العمل، نص على أن الإيمان هو العمل، وهذا يؤكد على أن العمل داخل في حقيقة الإيمان، وأنه لا إيمان بدون عمل، ولا يدخل الجنة أحدٌ إلا بعمل، إلا بسبب العمل الصالح، أما استحقاق الجنة، فهو بفضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لكن العمل سببٌ لدخولها.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الباء سببية، وليس العمل عوضًا للجنة؛ لأن الجنة لا تقدر بالأثمان، ولكنها فضل من الله جَلَّوَعَلَا، ولهذا قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[١]، فالباء في الحديث «لَنْ يَدْخُلَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، الباء باء العوض، أما الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فهي باء السببية[1]؛ أي: بسبب ما كنتم تعملون، فعبر عن الإيمان بالعمل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] عَنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ قسم من الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: «لَنَسْأَلَنَّهُمْ»؛ أي: العباد أجمعين، كلهم يسألون يوم القيامة عماذا؟ ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، ما معنى ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؟ أي: عن قول «لا إله إلا الله»؛ كما فسرها بذلك هؤلاء الأئمة، فدل على أن القول من الإيمان، والقول هو عمل اللسان، ولا بد معه من عمل القلب ونية القلب، فدل على أن القول -قول «لا إله إلا الله»- عملٌ يسأل عنه العبد يوم القيامة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾)، لما ذكر الجنة وما فيها من النعيم، قال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾؛ أي: لمثل الجنة ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾؛ لأجل أن يدخلوها، الشاهد في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، فدل على أنه لا تُدخل الجنة إلا بعمل، وأما اعتقاد القلب بدون عمل، فإنه لا يدخل الجنة؛ لأن المشركين وغالب العالم كارهون بقلوبهم الإيمان، لكن يمنعهم الكبر والحسد والحمية الجاهلية من أن يصرحوا بألسنتهم، قال تعالى:

---

(١) انظر في أنواع الباء ومعانيها في اللغة: الجنى الداني في حروف المعاني (ص ٣٦، وما بعدها)، ومغني اللبيب (ص ١٣٧، وما بعدها)، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد (٦/ ٢٩٣٩).

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣].

فلا يكفي أن الإنسان يعتقد بقلبه، وليس الإيمان هو الاعتقاد بالقلب فقط -كما تقوله الأشاعرة من المرجئة-، وإنما الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد، هذا هو الإيمان.



٢٦ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ابْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ».

---

هذا -أيضًا- يدل على أن الأعمال من الإيمان.

أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ»، وبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه الأعمال ليست هي الإيمان كله؛ أنها أفضل الإيمان، هذا دليل على أن الإيمان عمل، وأنه يتفاضل، وهذا معنى زيادة الإيمان.



## بَابُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلَامُ عَلَى الحَقِيقَةِ، وَكَانَ عَلَى الاسْتِسْلَامِ أَوِ الخَوْفِ مِنَ القَتْلِ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]، فَإِذَا كَانَ عَلَى الحَقِيقَةِ، فَهُوَ عَلَى قَوْلِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

---

الإسلام على نوعين؛ إسلامٌ بمعنى الاستسلام ظاهرًا، وهذا إيمان ضعفاء الإيمان أو إيمان المنافقين، فإن إسلام المنافقين هو الاستسلام فقط في الظاهر، أما في الباطن، فليس عندهم استسلام ولا عقيدة، وإنما يستسلمون لمصالحهم العاجلة فقط، أو يكون مسلمًا مؤمنًا، لكنه ضعيف الإيمان، في قلبه مثقال حبة خردل أو أكثر من ذلك -فالإيمان يتفاضل، والإسلام يتفاضل-، وقد يكون إسلامًا بدون إيمان؛ كإسلام المنافقين، ولذلك لما قالت الأعراب: آمنا، وادعوا لأنفسهم منزلة ليسوا إليها، ليس معناه أنهم منافقون أو أنهم كفار، لكن معناه: أنهم كملوا أنفسهم، قالوا: آمنا، والله جَلَّوَعَلَا عاب عليهم ذلك.

قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾، والأعراب هم البادية، ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: استسلمنا، ولا تدعوا لأنفسكم منزلة لن تصلوا إليها، الإنسان لا يزكي نفسه، ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾، ثم بين

-سبحانه- أنهم سيؤمنون، وسيدخل الإيمان في قلوبهم فيما بعد، لم يدخل إلى الآن دخولًا حقيقيًّا، ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾؛ أي: وسيدخل في المستقبل، هذا بشارة لهم، لما عاتبهم الله، بشرهم بأنه سيدخل الإيمان في قلوبهم، لكنهم استعجلوا -عادة الأعراب-، استعجلوا في هذا، ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [الحجرات:١٤]، هذا واضح أن الأعمال داخلةٌ في حقيقة الإيمان، وأن الإسلام يأتي بمعنى الاستسلام فقط، ويأتي بمعنى الاستسلام مع الإيمان في القلب، وهذا النوع الثاني.



٢٧- حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا»، فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا»، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ». وَرَوَاهُ يُونُسُ، وَصَالِحٌ، وَمَعْمَرٌ، وَابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ.

---

هذا الحديث بمعنى الآية في قصة الأعراب، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعطي ضعاف الإيمان؛ يتألفهم على الإسلام، ولا يعطي أقوياء الإيمان؛ يكلهم إلى إيمانهم، فيعطي الرجل وغيره أحب إليه منه، ولا يعطي من هو أحب إليه؛ لأجل أن يتألف على الإسلام، ويكل المؤمن إلى إيمانه، هذا واضح من هذا الحديث؛ أنه أعطى رجالًا من ضعاف الإيمان؛ ليتقوى إيمانهم، يتألفهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك رجلًا يزكيه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -ونعم المزكي-، يشهد له بالإيمان، فاستغرب أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركه، ويعطي غيره ممن هو دونه، استغرب هذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكرر على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإنه مؤمن، فإنه مؤمن، فإنه مؤمن. والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَوْ مُسْلِمًا»، أنت لا تزكيه بها في قلبه؛ لأن هذا لا يعلمه

إلا الله، ولكن قل: إنه مسلم. احكم على الظاهر، نحن نحكم على الظاهر، ولانحكم على الباطن.

هذا فيه دليل على أننا ليس لنا إلا الظاهر، وأما البواطن، فحكمها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا يقولون: كل مؤمن فهو مسلم، وليس كل مسلم يكون مؤمنًا.

هذا فيه مثل ما في الآية؛ أنه يمنع التزكية؛ أن يزكي الإنسان نفسه، أو يزكي غيره، ويقول: فلان مؤمن. وإنما يقول: فلان مسلم في الظاهر؛ يعني: فيما يظهر لنا أنه مسلم.

وأما أن نحكم بأنه مؤمن، هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه مسألة، والمسألة الثانية أشرنا إليها، وهي أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي من يحب من ضعاف الإيمان؛ من أجل أن يتألفهم على الإسلام، ولا يعطي من يحب؛ لأنه يكله إلى إيمانه، ولذلك لما قسم غنائم حنين، أعطى المؤلفة قلوبهم، وترك الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لم يعطهم؛ لأنهم مؤمنون، يثق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم، وأن ذلك لايؤثر في نفوسهم؛ لأنهم مؤمنون صادقون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٥٣- ٢٥٥): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: =

الشاهد من هذا الحديث: أولًا: أن الحكم في حقنا يكون على الظواهر، ولا نحكم على البواطن، وأن الإسلام تارة يكون بدون إيمان -كالمنافقين-، وتارة يكون معه إيمان ولو كان ضعيفًا -كحالة الأعراب، الذين قالوا: آمنا.

وثانيًا: أنه لا يزكي أحد أحدًا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ ❁ ❁

---

=يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ»، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟»، قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَللهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: «أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ» قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا».

# بَابٌ: إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنَ الإِسْلَامِ

**وقَالَ عَمَّارٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ».**

---

يقول عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أحد السابقين الأولين المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ»؛ يعني: حوى الإيمان كله، وهذه الثلاثُ أعمالٌ، دل على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وأنه تارة يعبر عن الإيمان بالعمل؛ «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ».

**الأولى:** «الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ»، فالإنسان لا يزكي نفسه، ويبدأ بنفسه، ولا يطالب الآخرين قبل نفسه، الإنسان يعرف قدر نفسه، فلايجرح الآخرين ويزكي نفسه، بل نفسه أولى بالتجريح؛ حتى يترك ما لايليق.

فإذا أنصف الإنسان من نفسه، أنصف الآخرين، وإذا لم ينصف من نفسه، لم ينصف الآخرين، هذه واحدة.

**الثانية:** «وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ»؛ بفتح اللام، يعني: يسلم على الناس؛ كما سبق في الحديث: «**وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[1]، فبذل السلام على عموم الناس المسلمين هذا من جوامع الإسلام.

**والثالثة:** «وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ»؛ أي: من الفقر، فإذا أنفق وهو فقير -حسب استطاعته-، فهذا دليل على قوة إيمانه، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ

---

(١) سبق حديث رقم (١٢) (ص٤٤).

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان:٨]، مع حاجتهم إليه يؤثرون غيرهم، هذا دليل على قوة إيمانهم، هذه أعمال.

**الشاهد:** أن هذه أعمال -الإنفاق، بذل السلام، الإنصاف من الناس-، وقد عدها عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي الإيمان.



**٢٨- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».**

---

هذا سبق الحديث قوله: «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟»[1]، أيْ: الإيمان؛ لأن الإسلام والإيمان بمعنى واحد، «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟»؛ أيْ: أيُّ الإسلام أفضل، فدل على أن الإسلام والإيمان يتفاضل كل منهما، وليس على حد واحد، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ**»، إطعام الطعام عمل، والإنفاق عمل، «**وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»، وأن تبذل السلام للناس مثل: تبذل السلام للعالم؛ أي: للمسلمين جميعًا، وهذا عمل، دل على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان.

وأطال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الإيمان على أن الأعمال من حقيقة الإيمان؛ ردًا على المرجئة بطوائفهم، الذين يفصلون العمل عن الإيمان، ويقولون: العمل شيء والإيمان شيءٌ آخر. العمل عندهم إما مكمل، وإما شرط -شرط كمال، أو شرط وجوب-، وكل هذه الأقوال لا حقيقة لها؛ لأن الأعمال من حقيقة الإيمان.

فتارة يعبر عن الإيمان بالعمل؛ كما يأتي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل نسخ

(١) سبق حديث رقم (١٢) (ص٤٤).

القبلة[١]، فدل على أن الصلاة إيمان، وهي عمل، فهذا دليل على أن الأعمال من حقيقة الإيمان، ومن ليس عنده عمل، ليس عنده إيمان، إلا إذا كان لم يتمكن من العمل، إذا دخل في الإسلام عن يقين وعن اعتقاد صحيح، ونطق بالشهادتين، ثم قتل أو مات قبل أن يتمكن من العمل، فهذا مؤمن يدخل الجنة، ولم يعمل؛ لأنه لم يتمكن من العمل، ما صار عنده فرصة بعد إسلامه للعمل.



(١) كما في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٤٤٨٦)، وفيه: «... وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾».

## بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ

فِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**٢٩- قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».**

---

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابٌ كُفْرَانِ العَشِيرِ، وَكُفْرٍ دُونَ كُفْرٍ)؛ أي: هذا الباب يُذكر فيه هاتان المسألتان: كفران العشير -وهو: الزوج-، وبيان الأشياء التي تكون أصغر دون الكفر الأكبر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ»، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»**).

هذا الحديث فيه بيان كُفران العشير، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُرِيتُ النَّارَ»**، متى؟ في صلاة الكسوف، لما كسفت الشمس في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صلى بالناس صلاة الكسوف، وفي أثناء الصلاة أُري النار، وهو يُصلي، وهذا من

خصائصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن معجزاته أُري النار، وهو يُصلي صلاة الكسوف تقدم وتأخر، وهو يُصلي.

ومن جُملة ما رأى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ»، بسبب ماذا؟ لأنهن «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ»؛ يعني: يجحدن، الكفر المراد به: الجحود، فيجحدن حق الزوج، ويجحدن إحسانه، بمجرد ما يحصل خطأٌ يسير منه، فإنها تقول: لم أرَ منك خيرًا قط. تجحد الإحسان والعشرة الطيبة السابقة. وبهذا استحقت دخول النار، ولا شك أن هذا معصية، والمعاصي تُنقِّص الإيمان؛ كما أن الطاعات تزيد الإيمان، الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فكفران العشير معصية تُنقِّص الإيمان؛ لأن الواجب عليها أن تعترف بإحسان الزوج وعشرته الطيبة، ولاتجحدها وتُنكرها، فهذه الخصلة تكثر في النساء، وهي معصية تُنقِّص الإيمان، وتُوجب دخول النار؛ ولهذا كان أكثر أهل النار من النساء بسب هذه الخصلة القبيحة.

**الشاهد منه:** أن كفران العشير يُنقِّص الإيمان، ويُوجب دخول النار، ويدل على أن الكفر منه ما هو كفرٌ أكبر مُخرج من الملة، ومنه ما هو كفرٌ أصغر لايُخرج من الملة، وهو المراد هنا، المراد بـ«يَكْفُرْنَ العَشِيرَ» أي: الكفر الأصغر، الذي لا يُخرج من الملة.

❁ ❁ ❁

## بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلا يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ

لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»[1]. وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

---

المعاصي من أمور الجاهلية، كل المعاصي من أمور الجاهلية، والجاهلية: ما قبل الإسلام، الجاهلية: ما قبل بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]، وهي مذمومة، كل صفاتها وأفعالها مذمومة، ونحن منهيون عن التشبه بأهل الجاهلية،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن منظور: (جَهِلَ: الجَهْلُ: نَقِيضُ العِلْم، وَقَدْ جَهِلَه فُلَانٌ جَهْلًا وجَهَالَة، وجَهِلَ عَلَيْهِ. وتَجَاهَلَ: أَظهر الجَهْلَ؛ عَنْ سِيبَوَيْهِ. الجَوْهَرِيُّ: تَجَاهَلَ أَرَى مِنْ نَفْسِهِ الجَهْلَ، وَلَيْسَ بِهِ، واسْتَجْهَلَه: عَدَّه جاهِلًا، واسْتَخَفَّه أَيضًا. والتَّجْهِيل: أَن تَنْسُبَهُ إِلى الجَهْل، وجَهِلَ فُلَانٌ حَقَّ فُلَانٍ، وجَهِلَ فُلَانٌ عَلَيَّ، وجَهِلَ بِهَذَا الأَمر. والجَهَالَة: أَن تَفْعَلَ فِعْلًا بِغَيْرِ العِلْم. ابْنُ شُمَيْل: إِن فُلَانًا لَجَاهِل مِنْ فُلَانٍ أَي: جاهِلٌ بِهِ. وَرَجُلٌ جَاهِلٌ، وَالجَمْعُ جُهْلٌ وجُهُلٌ وجُهَّلٌ وجُهَّالٌ وجُهَلَاء؛ عَنْ سِيبَوَيْهِ، قَالَ: شَبَّهوه بِفَعيل كَمَا شَبَّهُوا فَاعِلًا بفَعُول؛ قَالَ ابْنُ جِنِّي: قَالُوا: جُهَلاء؛ كَمَا قَالُوا: عُلَماء، حَمْلًا لَهُ عَلَى ضِدِّهِ. وَرَجُلٌ جَهُول: كَجاهِل، وَالجَمْعُ جُهُلٌ وجُهْلٌ). انظر: لسان العرب (١١/ ١٢٩)، وقال ابن فارس: (جَهِلَ) الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ الْخِفَّةُ وَخِلَافُ الطُّمَأْنِينَةِ. فَالْأَوَّلُ الْجَهْلُ نَقِيضُ الْعِلْمِ. وَيُقَالُ لِلْمَفَازَةِ الَّتِي لَا عَلَمَ بِهَا مَجْهَلٌ). انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧).

ومنهيون عن أعمال أهل الجاهلية، ومن كانت فيه خصلة من خصال الجاهلية، فإنه لا يخرج من الملة، بل يكفر الكفر الأصغر، الذي لا يُخرج من الملة.

وسبب هذا الحديث أن أحد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لصحابيٍّ آخر أسود اللون، صار بينهما سوء تفاهم، قال له أخوه: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ -يُعيره بذلك-. لأن أمه سوداء، فعيره بأمه، وهذا من أمور الجاهلية التعيير بالنسب، أو التعيير بالنقص الذي يكون في الإنسان، هذا من أمور الجاهلية، أما الإسلام، فإنه يمنع من التعيير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحُجُرات:١١].

فمن تنقَّص نسب أخيه، فإن هذا من أمور الجاهلية، مع أنه مسلم، فدل على أن المسلم قد يكون فيه شيء من خصال الجاهلية، ودل على أن ليس من كان فيه خصلة من خصال الجاهلية أنه يكون كافرًا، ويكون حكمه حكم أهل الجاهلية، بل إنه مسلم، ولكنه عنده نقص من حيث الاتصاف بهذه الصفة، فدل على أن أمور الجاهلية تبقى في الناس، لاتنمحي نهائيًّا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**». وَقَالَ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**»(١)، فهذه من أمور الجاهلية توجد في بعض الناس المسلمين، وتُنقِّص الإيمان، لكنها لا تُخرج صاحبها من الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي هذا ردٌّ على الخوارج، الذين يُكفِّرون المسلم بالذنب الذي دون الشِّرك، الخوارج يُكفِّرون المسلمين بالذنوب الكبائر التي دون الشِّرك، وهذا مذهبٌ باطل؛ لأن المسلم إن كان فيه كبيرة من كبائر الذنوب، لكنها دون الشِّركَ والكفر، فإنها لا تُخرجه من الملة -هذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة-، ولا تسلبه الإيمان بالكلية، بل يكون عنده إيمانٌ ناقص.

يقولون: مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته. أو يُعطى مُطلق الإيمان، ولا يُعطى الإيمان المطلق، الإيمان المطلق أي: الإيمان الكامل، ومطلق الإيمان هو: الإيمان الناقص، فيُعطى مُطلق الإيمان، وهذا هو الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة؛ خلافًا للخوارج، الذين يُكفِّرون بالكبائر التي دون الشِّرك[1]، وسيأتي قول

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (٣/ ١٥١-١٥٢). انظر: (العقيدة الواسطية) ضمن مجموع الفتاوى (فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّي اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾. وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا =

الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء:٤٨]؛ أي: ما دون الشِّرك ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، هذا رد على الخوارج.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨])، الشِّرك لا يُغفر إلا بالتوبة، أما ما دون الشِّرك من الكبائر -كالزنا، السرقة، شُرب الخمر- هذه كبائر موبقات، ولكن لاتُخرج صاحبها من الملة، هذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، أما الخوارج، فيقولون: لا، بل تُخرج، الكبائر تُخرج صاحبها من الملة، ولا تُكفَّر إلا بالتوبة، فهم أهل ضلال -والعياذ بالله-، والآية ترد عليهم: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء:٤٨]؛ أي: ما دون الشِّرك، هم يقولون: لا، لا يُغفر له، وهو كافر الكفر الأكبر. نعوذ بالله من الضلال!

❁ ❁ ❁

=وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ الْمُطْلَقَ وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ).

**٣٠- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ الأَحْدَبِ، عَنِ المَعْرُورِ أنه قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».**

---

هذا أبو ذر الصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابي الجليل العابد الزاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان في آخر حياته يعيش في الربذة، وهي بريةٌ تبعد عن المدينة ثلاث مراحل جهة الشرق، وهي الحمى الذي حماه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لدواب الصدقة؛ الشَّرف والربذة[1].

فأبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى الربذة؛ يتفرغ للعبادة، ويبتعد عن الناس، حتى مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ودُفِن في الربذة، ورآه رجلٌ، وعليه حُلة، وعلى غلامه -أي: مملوكه- حُلة مثلها، عليه حُلة مثل ما على السيد، وهو أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تعجب الرجل كيف يكون المملوك مثل المالك في اللباس؟ والحُلة هي: الثوب، قيل: إنها لا تكون حُلة، إلا إذا كانت من ثوبين؛ يعني: إزار ورداء،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن زنجويه في الأموال (٢/ ٦٦٦)، والبيهقي في السنن الصغير (٢/ ٣٣٠): عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَى النَّقِيعَ وَأَنَّ عُمَرَ حَمَى الشَّرَفَ وَالرَّبَذَةَ».

هذه الحُلة، وقد تُطلق الحُلة على اللباس الواحد؛ كأن تكون رداء فقط أو إزارًا فقط، ولكن الأصل أنها من ثوبين؛ إزار ورداء[١].

ليس هذا يعنينا، الذي يعنينا أن الغلام المملوك صار مثل السيد في اللباس، تعجَّب الرجل، فسأل أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لماذا؟ فقال له: «إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ»؛ يعني: رجل من المسلمين صار بينه وبينه شيء من سوء التفاهم -مثلما يجري بين الناس-، فقال له أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أبو ذر من غِفار قبيلة معروفة- قال لهذا الرجل وكان أسود اللون: يا ابن السوداء، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟»** يُنكر عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **«إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»**؛ يعني: من خصال الجاهلية الذين يطعنون في أنساب الناس، والواجب على المسلمين أن يكرموا إخوانهم في الإسلام، وألا يتنقصوهم، أو يتنقصوا أنسابهم، وأما إذا تنقصه، فهذا من خصال الجاهلية.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»**؛ أي: فيك خصلة من خصال الجاهلية، فدل على أن المسلم -وإن كان فاضلًا تقيًّا- قد يكون فيه خصلة من خصال الجاهلية؛ مثل أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فدل على أن الخصلة من خصال الجاهلية لا تقتضي الكفر المخرج من الملة، كذلك الكبائر التي دون الشِّرك لا تُخرج من الملة، إلا على مذهب الخوارج -والعياذ بالله-، الذين يُكفِّرون المسلمين بالكبائر التي دون الشِّرك.

---

(١) انظر: العين (٣/ ٢٨)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢٣٨)، ومختار الصحاح (١/ ٧٩)، والقاموس الفقهي (١/ ١٠٠).

الحديث واضح في أن من كان فيه خصلة من خصال الجاهلية لا تُخرجه عن الإسلام، ولا تسلب فضله الذي عنده، بل يكون هذا نقصٌ لا يضر إيمانه، أو يُنزل من قدره وفضله كأبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهذا ردٌّ واضح على الخوارج.

فدل على أنه لا يجوز التعيير بالنسب، وأن هذا من خصال الجاهلية، ودل على أن من كان -وهذا مقصود المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ- أن من كان عنده خصلة من خصال الجاهلية لا يخرج من الإسلام؛ كما تقول الخوارج.

ودل على تواضع أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع مملوكه؛ حيث إنه ساواه في الملبس، ألبسه مثل ما يلبس، وذلك بعد الواقعة التي حصلت له مع أخيه الذي سبَّه، فحينئذٍ أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تدارك؛ فلم يتنقص هذا المملوك، بل ساواه به في اللباس؛ لأن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عاب عليه في الأول قوله لأخيه: يا ابن السوداء، فساواه، ولم يتنقصه.

وذكر الحديث أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال عن المماليك مخاطبًا المالكين والسادة: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**»؛ أي: خدمكم إخوانكم، وكونه خادمًا لك لا يسلبه أنه أخٌ لك -أيضًا- في الإسلام؛ فلا تتنقصه، ولا تهضمه شيئًا من حقه على أنه خادم، بل تُعامله معاملة المسلم.

«**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ**»؛ أي: ملككم إياهم، «**فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ**»، ولا يُكلفه من العمل ما لا يُطيق، «**فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ، فَأَعِينُوهُمْ**»، أعينوهم على هذا

الأمر، ولا تتركوه يُثقل عليهم، فهذا فيه المواساة بين المالك والمملوك، وفيه منع تكبر؛ فلا يتكبر المالك على مملوكه، ولا يتكبر على إخوانه المسلمين.

وأخذ من قوله ﷺ: «**وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ**» أنه ألبسه مثل لباسه؛ امتثالًا لأمر الرسول ﷺ.



بَابُ ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات:٩]، فَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ.

---

هذا -أيضًا- يدل على أن القتال بين المسلمين لا يسلبهم الإيمان، وأن القتل ولو كان بغير حق لا يسلب القاتل الإيمان، بل هو فاعلٌ لكبيرة من كبائر الذنوب، تُنقِّص إيمانه، ولكنها لا تُخرجه من الإيمان، مع أن قتل النفوس بغير حق كبيرة من كبائر الذنوب، ولكن لا تُخرج القاتل من الإيمان.

وهذا -أيضًا- ردٌّ على الخوارج، وسبحان الله! هم يُكفِّرون بالكبيرة، وهم يقتلون المسلمين، يُكفِّرون بالكبيرة، ومنها القتل.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾، سماهم مؤمنين مع أنهم يقتتلون، فدل على أن الاقتتال بين المسلمين لا يُخرجهم من الإيمان.

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾؛ أي: صار بينهم قتال، ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحُجُرات:٩]، الواجب الصُّلح بين الفئتين المتقاتلين.

والطائفة هي: الفرقة، وقد تُطلق الطائفة على واحد أو أكثر، يُقال للواحد: طائفة، ويُقال للاثنين، والثلاثة، والعشرة، يقُال لهم: طائفة، ولو اقتتل رجلان، هذا يدخل تحت قوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ ﴾، وكذلك الاثنان والثلاثة إلى آخره[١].

---

(١) انظر في تفسير الطائفة: تفسير الطبري (١٧/ ١٤٦- ١٤٧)، والقرطبي (١٦/ ٣١٦).

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾؛ أي: تقاتلوا بينهم، فما موقفنا أنتركهم؟ لا، بل نتدخل: ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾، أول شيء الصُّلح وتسوية النزاع، والصُّلح يكون بالعدل، ما يُجحف بالطائفة الأخرى، يكون بالعدل والمساواة، ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء:١٢٨]، قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤]، فالذي يسعى بالصلح بين المسلمين هذا يعمل عملًا جليلًا؛ لأنه يُزيل الشِّقاق بين المسلمين، ويُزيل ما يُفرِّق بين وحدة المسلمين.

أول حل الصُّلح، ﴿ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ ﴾؛ لم تقبل الصلح، التي تأبى الصلح وتستمر على القتال ماذا نعمل معها؟ الخطوة الثانية: ﴿ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى ﴾، قاتلوا التي تبغي، ساعدوا أخاكم أو إخوانكم الذين بُغي عليهم، تُعدي عليهم، ساعدوهم، ادفعوا عنهم البغي: ﴿ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحُجُرات:٩]؛ أي: ترجع، ﴿ تَفِىٓءَ ﴾ يعني: ترجع إلى أمر الله، وتقبل الصلح.

﴿ فَإِن فَآءَتْ ﴾؛ يعني: رجعت، ﴿ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ ﴾؛ لا تميلوا مع إحدى الطائفتين، ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ﴾؛ أقسطوا في الصلح، لا يكن فيه جور؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾.

ثم قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، وهذا شاهد على أن الاقتتال لا يُزيل الأُخوة بين القاتل والمقتول.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾؛ سمى المتقاتلين إخوة، فدل على أن القتل لا يُخرج الإنسان من الملة، ولو كان بغير حق، ولو كان بغيًا وعدوانًا، لا يُخرج المسلم من الإسلام؛ خلافًا للخوارج، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، مع أنهم يقتتلون قال: ﴿إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾؛ جعلهم إخوانًا لنا أيضًا، ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحُجُرات:١٠].

فهذه الآية دليلٌ واضح على أن القتل عمدًا عدوانًا، وإن كان مُحرمًا وكبيرة وموبقة من الموبقات، إلا أنه لا يُخرج صاحبه من الإيمان، بل يكون ناقص الإيمان، ولا يكون كافرًا.

أما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر: «**لا تَرجِعوا بَعْدي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ**»[1]، فالمراد الكفر الأصغر، «**لا تَرْجِعُوا بَعْدي كُفَّارًا**»؛ أي: الكفر الأصغر؛ لأن الكفر إذا جاء مُنكَّرًا، فهو أصغر، إذا جاء مُعرفًا بالألف واللام، فهو الأكبر: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»[2]، فهي كفرٌ أكبر؛ لأنه مُعرَّف بالألف واللام، أما إذا جاء نكرة (كُفارًا)، «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[3] كفرٌ أكبر؟ لا، كفرٌ أصغر؛ لأنه نكرة (كفرٌ)، فهناك فرق بين هذا وهذا[4].

فدل على أن الاقتتال والقتل في الإسلام، وإن كان محرمًا وكبيرة من كبائر الذنوب؛ أنه لا يُخرج من الملة، وفي هذا ردٌّ على الخوارج.

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (٨٢)، وأبو داود (٤٦٧٨)، وابن ماجه (١٠٧٨) بلفظه، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) انظر في الفرق بين الكفر المعرف والمنكَّر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٧).

**٣١- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، وَيُونُسُ، عَنِ الحَسَنِ، عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، أنه قَالَ: «ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ، فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».**

---

وهذا الحديث فيه أن الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيد بني تميم، رئيس بني تميم، وكان أدرك النبي ﷺ، ورآه، لكن قبل أن يُسلم، إنما أسلم بعد وفاة الرسول ﷺ؛ فلذلك يُعد من التابعين، يُعد الأحنف بين قيس من التابعين، وكان مشهورًا بالحلم، حتى يُضرب به المثل في الحلم والأناة، فكان مشهورًا بهذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال: «ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ»، الأحنف بن قيس خرج مستعدًا للقتال مع مَن؟ مع علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لما حصلت الفتنة بعد مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، نشبت الفتنة بين المسلمين؛ طائفة يُطالبون بدم عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يُريدون تسليم القتلة للعدالة، وطائفةٌ انحازوا مع علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد مبايعته بالخلافة بعد مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على أنه هو الخليفة.

وهؤلاء إخوانه يقولون: نعم نحن لا نُمانع في الخلافة، إنما نُريد القتلة الذين قتلوا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُقدمون للعدالة، علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما يقدر يسلمهم، حتى يستتب الأمن، وحتى يستتب الأمر؛ لأن الأمور ما تزال في رجة -والعياذ بالله-،

قدَّر الله أنه صار قتال بين من يُطالبون بدم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا بإرادةٍ من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولا بإرادة من إخوانه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وإنما أهل الفتنة هم الذين أشعلوا الحرب بين الطائفتين؛ لئلا يوصل إليهم؛ ليشغلوا الناس عن الوصول إليهم، فالحرب ليست بإرادة علي ولا بإرادة إخوانه، إنما أشعلها أهل الفتنة فيما بينهم، فحصلت المقتلة.

الأحنف بين قيس خرج يُريد مناصرة علي في هذه الحرب، وهي بين فئتين من المؤمنين، خرج يُريد أن يُناصر علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فلقيه أبو بكرة نُفيع بن الحارث الثقفي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال له: «أَيْنَ تُرِيدُ؟»، قال الأحنف: «أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ»؛ يعني: عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، «قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، فعند ذلك رجع الأحنف رَحِمَهُٱللَّهُ، رجع عما أراد؛ تنازلًا لقول أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعملًا بالحديث -وهكذا المسلم إذا بلغه حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يمتثل على الرأس والعين-، فرجع، فدل على أنه لايدخل الإنسان في الفتنة، إذا شبت فتنة بين المسلمين، وتقاتلوا، أنت لاتدخل معهم، إن أمكن تُصلح بينهم، أصلح، وإلا فلاتزد الشر شرًّا، ولاتدخل بينهم، أمسك عن الدخول بينهم؛ لأنه قتال فتنة.

فرجع الأحنف بن قيس رَحِمَهُٱللَّهُ، فدل هذا على أن الواجب على المسلم إذا حصل قتال بين المسلمين ألا يدخل في الفتنة؛ أن يكف، إلا إذا كان يقدر على الصلح بينهم، فإنه يُصلح بينهم.

**الشاهد منه قوله: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا»**؛ يعني: كل واحد يُريد أن يقتل الآخر.

قوله ﷺ: **«فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»**؛ لأنه لا يجوز للمسلمين أن يتقاتلا. فالقاتل في النار؛ لأنه قتل، وهذه كبيرة من كبائر الذنوب، تُوجب دخول النار، لكن المقتول كيف يكون في النار وهو مقتول؟ سأل أبو بكرة رضي الله عنه النبي ﷺ، قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟» قَالَ: **«إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»**، فعوقب من أجل نيته؛ لأنه يُريد قتل أخيه، فعوقب على نيته؛ أن يقتل أخاه لو ظفر بذلك، فدل على تحريم القتال بين المسلمين -حتى النية ما تنوي هذا-، تحريم القتال ونية القتال بين المسلمين، وأنه كبيرة من كبائر الذنوب؛ لأنه قال: **«فِي النَّارِ»**، وليس معنى **«فِي النَّارِ»** أنهما خالدان فيها، أو كافران، لا، **«فِي النَّارِ»** من باب الوعيد، المسلم يمكن يدخل النار بذنوبه، فهذا من باب الوعيد.

**«فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ»** دل على تحريم القتال بين المسلمين، وعلى أن المسلم يكف عن الدخول فيها في الفتنة.

ودل على أن الإنسان يُعذَّب على نيته؛ كما أنه يُؤجر على نيته: **«إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»**.

**والشاهد من هذا الباب:** أن القتل وإن كان كبيرةً من كبائر الذنوب، فإنه لا يُخرج من الإسلام، ولا يقتضي الكفر؛ لأنه قال: **«إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ»**، انظر: **«المُسْلِمَانِ»**، ما سلب عنهما الإسلام، دل على أن القتال بينهما لا يُخرجهما

من الإسلام، «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا»، فالقاتل -وإن كان مسلمًا-، والقتيل -وإن كان مسلمًا- كلاهما في النار، مع أنهما مسلمان، فدل على أن المسلم قد يدخل النار بالكبيرة التي فعلها.

وفي هذا ردٌّ على المرجئة -أيضًا-، الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية. الرسول ﷺ أخبر أنه يدخل النار وهو مسلم ومؤمن، دل على أن المعصية تضر، لا كما تقوله المرجئة: لا يضر مع الإيمان معصية.

ففي هذا ردٌّ على الخوارج من ناحية، وردٌّ على المرجئة، ودليلٌ لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وهو المذهب الوسط والاعتدال -ولله الحمد-.



# بَابٌ: ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ

مراد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الترجمة أن الظلم ينقسم إلى قسمين:

**القسم الأول:** ظلمٌ أكبر.

**القسم الثاني:** ظلمٌ أصغر.

مثل ما سبق أن الكفر ينقسم إلى قسمين: كفر أكبر، وكفر أصغر.

**ومثل الشِّرك:** شرك أكبر، وشرك أصغر.

والواجب على طالب العلم أن يعرف هذا، ويُميز بين ما هو أكبر وما هو أصغر؛ لأن بعض الناس يُعمم، فيحكم على الناس بحكمٍ خاطئ، ولايُفصِّل، فقد يأخذ الأكبر في كل شيء، وقد يأخذ الأصغر في كل شيء، الواجب أن يُفصَّل في هذا؛ لأن هذا يترتب عليه أحكامٌ شرعية، فلابُد من التفصيل؛ فلذلك عُني العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ -كالإمام البخاري وغيره- ببيان هذه الأمور، يجب أن يعرف الناس هذه الأشياء، وينزلوها على منازلها.

**والظلم في اللغة:** وضع الشيء في غير موضعه[1]، وهو ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** ظلم الشِّرك، هذا أشد أنواع الظلم، وهذا لا يغفره الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٦٧)، والقاموس المحيط (ص ١٤٦٤)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣).

فالشرك ظلمٌ؛ لأنه وضعٌ للعبادة في غير موضعها، وهو ظلمٌ أكبر يُخرج من الملة، هذا النوع الأول: قال الله جَلَّوَعَلَا في قصة لقمان: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

**القسم الثاني**: ظلم العبد لنفسه بالمعاصي؛ فإنه إذا عصى الله، فقد وضع نفسه في غير موضعها، وعرضها للعذاب والعقوبة، وكان الواجب عليه أن يُكرِم نفسه، وأن يُزكيها بالطاعة، ويحميها من المعاصي وما يضرها، هذا هو الواجب عليه، فإذا أهملها، فقد ظلمها، ظلم نفسه.

**القسم الثالث**: ظلم الناس والتعدي عليهم بدمائهم، وأموالهم، وأعراضهم، فهذا ظلم الناس.

**فالنوع الأول**: وهو ظلم الشرك، لا يغفره الله.

**والنوع الثاني**: وهو ظلم النفس، فهذا تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر لصاحبه، وإن شاء عذبه.

**والنوع الثالث**: وهو ظلم العباد، هذا لا يترك الله منه شيئًا؛ لأنه لا يسقط حق المخلوق؛ حتى يسمح عنه، فلا يُترك منه شيء، مادام المظلومون يُطالبون بحقوقهم، فلا بُد من أدائها، ولا يعفو الله عنها؛ حتى يعفو عنها صاحبها الذي ظُلِم. فهذه أنواع الظلم.

**والظلم نوعان:**

**النوع الأول**: ظلمٌ أكبر يُخرج من الملة، وهو: الشِّرك، الشِّرك الأكبر يُخرج من الملة.

النوع الثاني: ظلمٌ أصغر، وهو ظلم العبد لنفسه، هذا لا يُخرج من الملة، لكنه مُحرَّم، أو ظلم الناس -أيضًا-، هذا لا يُخرج من الملة، وهو محرَّم وكبيرة من كبائر الذنوب، لكنه لا يُخرج من الملة.

فظلم العبد لنفسه، وظلم الناس يدخل تحت الظلم الأصغر.



٣٢- حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، ح قَالَ: وحَدَّثَنِي بِشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

---

لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾؛ أي: لم يخلطوا إيمانهم بظلم، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، شق ذلك على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قالوا: يا رسول الله! «أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟»، فإذًا يكونون كلهم قد لبسوا إيمانهم بظلم؛ لأنهم لا يسلمون من المعاصي، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن لهم المراد بالآية، وأنه ليس المراد ظلم المعاصي، وإنما المراد ظلم الشِّرك، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، فالمراد بالظلم في الآية ظلم الشِّرك، لا ظلم المعاصي، فزال الإشكال -والحمد لله-.

دل الحديث على أن الظلم ينقسم إلى قسمين: ظلم الشِّرك، وظلم المعاصي.

ظلم الشِّرك الأكبر يُخرِج من الملة، وظلم المعاصي لا يُخرج من الملة.

❁ ❁ ❁

## بَابُ عَلَامَةِ المُنَافِقِ

٣٣- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ أَبُو سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

---

**النِّفاق ينقسم إلى قسمين:**

**القسم الأول:** نفاقٌ أكبر يُخرج من الملة.

**القسم الثاني:** نفاقٌ أصغر لا يُخرج من الملة.

النِّفاق الأكبر يُسمى النِّفاق الاعتقادي، النِّفاق الأصغر يُسمى النِّفاق العملي، فبينهما فرق؛ النِّفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، أما النِّفاق الأصغر، فقد يحصل من المؤمن، ولا يُخرجه من الدِّين. يجب معرفة هذا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»).

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ المُنَافِقِ»؛ الآية معناها: العلامة[1]؛ أي: علامة المنافق التي يُعرف بها «ثَلَاثٌ»، وهذا المراد به النِّفاق الأصغر؛ نِفاق العمل: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، فهذه الأمور من صفات

---

(١) انظر: العين (٨/ ٤٤١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٦)، والصحاح (٦/ ٢٢٧٥)، ومقاييس اللغة (١/ ١٦٨).

المنافقين، إذا اتصف بها أحدٌ، ففيه صفةٌ من صفات المنافقين، لكنه لا يخرج من الإسلام؛ لأن هذا نفاقٌ عملي، وليس اعتقاديًّا.

**النِّفاق الاعتقادي:** أن يُظهر الإيمان، ويُبطن الكفر.

**النِّفاق العملي:** هو أن يُبطن الإيمان، هو مؤمن، لكن يصدر منه صفات من صفات المنافقين، هذا عملي، وهو نفاقٌ أصغر، لكن إذا كثرت فيه صفات المنافقين، صار منافقًا خالصًا، وإذا وجِدت فيه خصلة، صارت فيه خصلةٌ من النِّفاق، حتى يدعها؛ كما في الحديث[1].

**الشاهد من الحديث:** أن النِّفاق يُعرف بعلامات، نحن ما نعلم ما في القلوب، لكن العلامات الظاهرة نحكم بها، فالذي يستعمل الكذب، إذا تحدث وأخبر عن شيء، يكذب، يُعرف بالكذب، فإنه من علامات النِّفاق؛ لأن المؤمن يكون صادقًا.

«وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» إذا وعد وعدًا لأحد، قال: أنا أعطيك كذا، أنا آتيك يوم كذا أو كذا. ثم يغره، وما يفي بالوعد، فهذه من صفات المنافقين؛ عدم الوفاء بالوعد، أما الوفاء بالوعد، فهو من صفات المؤمنين، وعدم الوفاء بالوعد هذا من صفات المنافقين.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٤، ٢٤٥٩، ٣١٧٨)، ومسلم (٥٨): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

وإذا اؤتمن على شيء -اؤتمن على مال، أو على سر من الأسرار-، فإنه يخون في الأمانة، الواجب حفظ الأمانة وأداء الأمانة إلى صاحبها، فالذي يخون في الأمانة هذا من صفات المنافقين، بيَّن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الصفات؛ ليحذرها الناس، ويتركوها.



**٣٤- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، تَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ.**

---

الحديث الأول فيه «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ»، وهذا فيه أن آية المنافق أربع، فكيف كان ذلك؟ قالوا: ليس هناك مانع؛ العدد لا مفهوم له، فيمكن أن يكون هناك صفات غير الصفات المذكورة تُضاف إلى ما سبق، ولا تنافي بينها، والعدد لامفهوم له، ليس معناه أنه ليس غير هذه الثلاث[1]، بل هناك صفات أخرى من خصال المنافقين، تُضاف إليها، كل ما جاء في الأحاديث يُضاف، ويُجمع، ومجموعه يكون هو صفات المنافق.

«إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، هذه سبقت، زاد «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، إذا خاصم عند القاضي، فجر في خصومته، وكذب، وأخذ مال أخيه بغير حق، حلف يمينًا، أو أقام شهود زور؛ لأجل أن يكسب القضية، هذه من علامات المنافقين، المؤمن يكون صادقًا في الخصومة -له أو عليه-، ولا يصير همُّه أن يكسب القضية، همُّه أن يصل إلى الحق، هذا همُّه أن يصل إلى الحق -له أو عليه-، هذا هو المؤمن، أما المنافق، فيُريد دائمًا الحق له، ولو بالباطل؛ يُزوِّر، يكذب في اليمين، هذه من صفات المنافقين.

---

(١) انظر: روضة الناظر (٢/ ١٣٥)، وشرح مختصر الروضة (٢/ ٧٦٨)، والبحر المحيط في أصول الفقه (٥/ ١٧٠).

## بَابٌ: قِيَامُ لَيْلَةِ القَدْرِ مِنَ الإِيمَانِ

**٣٥- حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».**

---

نعم كما أن الكفر يتفاوت، والشِّرك يتفاوت، والظلم يتفاوت، والنِّفاق يتفاوت، كذلك الإيمان يتفاوت: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمان»**[(١)]، فالإيمان له خصال كثيرة، شُعب كثيرة؛ بضعٌ وستون، أو بضعٌ وسبعون شعبة، أو أكثر، كل الطاعات من الإيمان، من خصال الإيمان، وقد ألَّف الإمام البيهقي كتابًا حافلًا اسمه (شُعب الإيمان)، ذكر فيه شُعب الإيمان الواردة في الحديث؛ بضعٌ وستون، أو بضعٌ وسبعون.

فكل الأعمال الصالحة من الإيمان، من الناس من يستكملها، ومنهم من يأخذ بعضها، ومنهم من يتوسط، الناس ليسوا واحدًا في الإيمان، ليسوا سواء في الإيمان -كما تقوله المرجئة[(٢)]-، إنما الناس يتفاوتون في الإيمان، بعضهم أقوى إيمانًا من البعض الآخر، وأكثر عملًا صالحًا من البعض الآخر.

**الشاهد من هذا:** أن الإيمان -أيضًا- يتفاوت؛ مثلما يتفاوت الكفر، والشِّرك، والنِّفاق.

---

(١) سبق (ص ١٥).

(٢) المرجئة تقول: إن الناس سواء في الإيمان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»)، دل على أن قيام ليلة القدر من الإيمان، قيام ليلة القدر عمل صالح أم لا؟ فهو من الإيمان؛ من خصال الإيمان؛ لحديث: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[1]، والحديث الذي معنا «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، والحديث الثالث: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[2].

فهذا دليلٌ على أن صيام رمضان، وعلى أن قيام رمضان، وعلى أن قيام ليلة القدر كل ذلك من الإيمان؛ من خصال الإيمان.

قوله: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»؛ إيمانًا بثواب الله عَزَّ وَجَلَّ، إيمانًا يعني: اعتقادًا، لا يقومها رياء أو سُمعة، إنما يقومها إيمانًا خالصًا من قلبه، واحتسابًا للأجر الذي فيها، يطلب الأجر الذي فيها، مَن قام إيمانًا واحتسابًا، حصل على المطلوب، فدل على أن الإيمان له شُعب، وله أعمال كثيرة، وليس هو شيئًا واحدًا؛ كما تقوله المرجئة.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧، ٢٠٠٩)، ومسلم (١٧٣) (٧٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨، ٢٠١٤)، ومسلم (١٧٥) (٧٦٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## بَابٌ: الجِهَادُ مِنَ الإِيمَانِ

**٣٦- حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَنَّهُ قَالَ: «انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ».**

---

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (الجِهَادُ مِنَ الإِيمَانِ)؛ لأن الجهاد عمل طاعة لله عَزَّوَجَلَّ، فهو من الإيمان، الطاعات كلها من الإيمان، لكن المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ يُوردها حسب ما جاء في الأدلة، يُريد أن يُورِد الأدلة على كل شيءٍ باسمه، وإلا كل الطاعات والعبادات من الإيمان.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قَالَ: **«انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»**)، هذا الحديث فيه أن الجهاد من صفات أو من خصال الإيمان، أو من شُعب الإيمان، والمراد بالجهاد هنا:

جهاد الكفار؛ لإعلاء كلمة الله، هذا هو الجهاد في سبيل الله، جهاد الكفار وقتالهم؛ لأجل إعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ هذا من أعظم خصال الإيمان.

النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اشترط في الجهاد أن يكون قصد المجاهد وجه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا مانع أنه يأخذ ما حصل له من الغنيمة؛ يستعين بها على طاعة الله، الغنيمة حلال، وهي ما يؤخذ أو يُستولى عليه من أموال الكفار في الجهاد، هذا حلالٌ للمسلمين، فالمسلم يحصل على الأجر وعلى الغنيمة، وإذا لم يحصل على غنيمة، له الأجر عند الله، وإذا استُشهد في سبيل الله، فهذا أعظم، أعظم الثواب الشهادة؛ كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩]، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١٥٤]، فالشهادة في سبيل الله من أفضل الأعمال، ولو سلِم الإنسان ولم يُستشهد، فهو على أجر، يحصل على أجر الجهاد، ويحصل على الغنيمة -أيضًا-، أباحها الله له، فالمجاهد لا يُفلس أبدًا؛ إما أجر وغنيمة، وإما أجر، وإما شهادة، لا يُفلس المجاهد في سبيل الله.

المراد بالجهاد هنا: الجهاد الشرعي، الذي يقوم على راية الإسلام، يكون تحت راية ولي أمر المسلمين، هذا هو الجهاد تحت راية ولي أمر المسلمين، الذي يُقيم الجهاد مَن هو؟ هو ولي الأمر، من صلاحياته، وليس كل واحد يأخذ السلاح، ويقول: أنا أُجاهد، ويقتل من وليه، يقتل أهل الذمة، ويقتل المستأمنين، ويقتل كل من وجده، هذا ليس جهادًا، هذه خيانة وسفك دماء،

يُفجِّر؟! هذه خيانة، ويهلك ناسًا ما لهم ذنب، ويُخرِّب الأموال، أهذا جهاد في سبيل الله؟! هذا إفساد، هذا إفسادٌ في الأرض.

أما الجهاد، فما يُكوَّن إلا براية يعقدها ولي الأمر، ويستنفر المجاهدين، يُجهزهم، ويقودهم، أو يُوكِّل من يقودهم نيابةً عنه.

والرسول ﷺ يتمنى أنه يُقتل في سبيل الله عدة مرات؛ لِما للشهيد من الأجر العظيم؛ يُقتل، ثم يُحيا، ثم يُقتل، ثم يُحيا، ثم يُقتل في سبيل الله، ولولا مشاغله ﷺ في أمور المسلمين وقضايا المسلمين، ما تخلف عن سرية، وإلا قاد جميع السرايا والجيوش بنفسه ﷺ؛ لِما للجهاد من الفضل العظيم، هذا يدل على فضل الجهاد.

الجهاد ليس أي قتال أو سفك دماء، ولا هو بالتخريب، ولا هو بقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق؛ قتل المستأمن، قتل الذمي، قتل المُعاهد هذا حرام: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»[1]، هذا وعيدٌ شديد.

فينبغي أن يُعرف ما هو الجهاد في سبيل الله؟ الجهاد هو: الذي شرعه الرسول ﷺ بأمر الله، وقاده بنفسه، أو كل من يقود المسلمين أو السرايا والجيوش، فهذا هو الجهاد في سبيل الله.

أما الفوضى -كلٌّ يُقاتل، وكلٌّ يحمل سلاحًا، أو تُكوَّن عصابات جماعات، وكل واحدة تُقاتل الأخرى-، فهذا ليس جهادًا في سبيل الله، هذا

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤)، من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إفسادٌ في الأرض، أو يقتل من حرَّم الله قتله من الكفار، هذا ليس جهادًا في سبيل الله؛ ليس كل كافر يُقتل؛ هناك كافر معصوم الدم بالعهد، بالذمة، بالاستئمان، أخذ الأمان، مناديب الكفار ورُسل الكفار يأتون إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستقبلهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتفاوض معهم، ولا يقتلهم، بل يتركهم يذهبون إلى دولهم، وإلى جماعتهم حتى يرجعوا، يؤمِّنهم ماداموا في بلاد المسلمين.

فينبغي معرفة هذه الأمور؛ لأنه في هذا الزمان يُلتبس فيه الحق، وفهموا أن كل قتل فهو جهاد، قتل الكافر مهما كان هذا جهاد. هذا غلط؛ الجهاد له ضوابط وشروط وأحكام مدونة في كتب الحديث، وفي كتب السُّنَّة، وفي كتب الفقه مدونة ومُبينة، فهل نلغيها كلها، ونقول: احمل السلاح ولا عليك، واقتل من وليت؟!! هذه فوضى، ليس هذا هو الجهاد، وهذا يضر المسلمين، ويُضر الإسلام أكثر مما ينفع -إن كان فيه نفع.



# بَابٌ: تَطَوُّعُ قِيَامِ رَمَضَانَ مِنَ الإِيمَانِ

**٣٧- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».**

---

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ**»، فدل على أن قيام رمضان، وصلاة التراويح والتهجد من الإيمان.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»)؛ يعني: كل رمضان إيمانًا واحتسابًا «**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١)، هذه كلها أعمال؛ صيام وقيام رمضان كله، أو قيام ليلة القدر، كل هذا يدل على أن الإيمان يتكون من الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة من خصال الإيمان، وهي داخلة في الإيمان، وكلما أكثر الإنسان منها، قوي إيمانه، وزاد يقينه.

وليلة القدر غير مُعينة؛ كل ليلة من رمضان يحتمل أنها هي ليلة القدر؛ لأن الله لم يُبينها بليلةٍ مُعينة، فمن قام جميع الشهر، فلا شك أنه مرت به ليلة القدر، يضمن أنه مرت به ليلة القدر؛ لأنه قام كل ليالي الشهر، وهي فيها، هي في ليالي الشهر.

---

(١) سيأتي الحديث القادم (ص١٣٦).

أما من قام بعض الشهر، فلا يُضمن أنه أدرك ليلة القدر؛ قد تكون في الأيام أو في الليالي التي لم يقمها، ولكن النبي ﷺ كان يتحراها في العشر الأوسط، ثم تبين له أنها في العشر الأواخر، فصار يعتكف في العشر الأواخر؛ طلبًا لليلة القدر[1]، ويقوم العشر الأواخر أكثر من غيرها من الشهر؛ طلبًا لليلة القدر، هذا من باب التحري فقط، أما الجزم، فلا يُجزم أنها ليلة مُعينة؛ وذلك -والله أعلم- لأجل أن يقوم المسلم كل ليالي رمضان، فيحصل على الأمرين -انتبهوا-، يحصل على الأمرين إذا قام كل ليالي رمضان، حصل على قيام رمضان، وحصل على قيام ليلة القدر، فهذا فيه الترغيب في قيام رمضان كله، فيحصل على الوعدين الكريمين؛ قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا، وقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا.

❁ ❁ ❁

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٨١٣)، ومسلم (١١٦٧) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: «انْطَلَقْتُ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ فَقُلْتُ: أَلَا تَخْرُجُ بِنَا إِلَى النَّخْلِ نَتَحَدَّثُ، فَخَرَجَ، فَقَالَ: قُلْتُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ مِنْ رَمَضَانَ وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ العَشْرَ الأَوْسَطَ، فَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَإِنِّي نُسِّيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ، وَكَانَ سَقْفُ المَسْجِدِ جَرِيدَ النَّخْلِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَةٌ، فَأُمْطِرْنَا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَرْنَبَتِهِ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ».

## صَوْمُ رَمَضَانَ احْتِسَابًا مِنَ الإِيمَانِ

٣٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

---

إذًا يجتمع في رمضان فضائل عظيمة: قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا، قيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، صيام رمضان إيمانًا واحتسابًا، هذه كلها في شهر رمضان، هذا يدل على عظمة هذا الشهر وكثير خيراته، نسأل الله التوفيق للعمل الصالح، وأن ينفعنا بهذا الشهر العظيم، وأن يُبلغنا إياه، ويُعيننا على العمل الصالح فيه، وأن يتقبل منا ومنكم!



# بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ

**وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».**

---

لما ذكر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ الأبواب السابقة؛ الأعمال التي هي من الإيمان، الأعمال التي هي من خصال الإيمان، أعقبها بهذا الباب (بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ)، ما المناسبة؟

قالوا: لئلا يظنْ من يقرأ هذه الأبواب أنه لازم يأتي بهذه الأعمال كلها، فقال: (الدِّينُ يُسْرٌ)؛ يعني: يأتي بما تيسر له، يأتي منها بما تيسر له، ولا يشدد على نفسه.

هذا -والله أعلم- وجه الحكمة في ذِكر هذا الباب؛ بعد الأبواب السابقة، وذكر أثرًا معلقًا بدون سند «أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللهِ».

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»، الدين المراد به الأديان السماوية، الأديان التي شرعها الله للأمم؛ كالتوراة والإنجيل، وأديان الأمم السابقة، أديان الرسل السابقين، ودين نبينا محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكلها أديانٌ سماوية في وقتها، وأهلها مسلمون، ولكن بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توحد الدين بما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسخت الأديان السابقة؛ لأن دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو «أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللهِ»، لماذا؟ لأنه ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»، وهي ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل:١٢٣]، ملة أبيكم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما فيه السماحة واليسر.

أما الأديان السابقة، ففيها شدة، كُلفوا أشياء؛ عقوبةً لهم، كان منها: أن توبتهم تكون بقتل أنفسهم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:٥٤]، هذا مما شدّد الله به عليهم؛ عقوبةً لهم.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[النساء:١٦٠]، كانت في الأول حلالًا، فحرمها الله؛ عقوبةً لهم.

فالأديان السابقة فيها شدة، أما هذا الدين -ولله الحمد-، فهو دين السماحة واليُسر: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨]، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٦]، فهذا الدين -ولله الحمد- دين السماحة واليُسر، لكن يجب أن نعرف أن الدين والسماحة ليست بالتحلل من أحكام الدين؛ لأن بعضهم تقول له: صلِّ. يقول: لا، الدين يسر يا أخي، ليس بلازم الصلاة، الدين يسر، أصلي أو ما أصلي أنا مسلم، ولا تُلزمني بالصلاة، الدين يسر.

يترك الطاعات، ويفعل المحرمات، ويقول: الدين يسر.

ليس هكذا؛ الدين يسر في أحكامه التي شرعها الله ميسرة، ليس معنى الدين يسر أن تترك الأحكام الشرعية، هذا من الكذب على الله، وعلى رسوله، وعلى دين الإسلام، الذي يسمونه التسامح الآن.

تسامح يعني: لا تؤاخذ أحدًا بفعلٍ فعله، تسامح معه. لكن هذا الله ما يسامحه ونحن نسامحه؟! ما يجوز التخلص من الدين باسم التسامح أو باسم السماحة، هذا قولٌ على الله وكذبٌ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأنت إذا امتثلت أوامر هذا الدين، تجد أنه يسر، ما فيها مشقة -ولله الحمد-، ولا فيها إرهاق للنفوس، الله لا يرضى لنا هذا، يرضى لنا التوسط في العبادة، وهؤلاء يقولون: لا، الدين يسر. بمعنى أنك بهواك؛ تريد تصلي، أو ما تصلي، أو تعمل كذا، الدين يسر.

هذا ليس بيسر، هذا حرج -والعياذ بالله-، التخلص من الدين هذا حرج، وليس يسرًا، اليسر مع التزام الدين وفعل الرُخص التي شرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو اليسر، عدم التشديد على النفس، عدم التكلف هذا هو اليسر، العبادة متوسطة، لا تشدد على نفسك، ولاتتساهل، هذا هو اليسر.

أما التحلل من أحكام الدين، يقولون: هذا يسر. ومن التزم بها، يقولون: هذا متشدد.

هذا كلام باطل، يجب أن نعرف هذا؛ لأنه الآن تُثار قضايا لإفساد هذا الدين باسم السماحة، وباسم اليُسر، وباسم...، يستعملون الأشياء في غير محلها، وينسبون هذا إلى الدين، وإلى الله ورسوله، وهذا كذب.

❁ ❁ ❁

**٣٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُطَهَّرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مَعْنِ ابْنِ مُحَمَّدٍ الغِفَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ».**

---

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**»، يسرٌ في تشريعاته، في تشريعاته التي شرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الصلوات الخمس ليس فيها عُسر، ولامشقة -ولله الحمد-، الزكاة ربع العشر من المال، وليس فيها مشقة ولا إجحاف، الصيام شهرٌ من السنة أحد عشر شهرًا وأنت مفطر، وتصوم شهرًا واحدًا، الحج مرةً واحدة في العمر، على من؟ على المستطيع، هذا هو اليسر، ما أقول: يسر إنك تترك أوامر الدين، وتستريح في جانب، تفعل ما تشاء من المحرمات، تقول: (الدين يُسر)!!!

«**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**»، ما أحد يستطيع أن يحصي كل ما أمر الله به، ويقوم به، ما يستطيع هذا أحد، لو تصلي الليل والنهار، ما استطعت أن تحصي هذا الدين، لكن تأتي منه ما تستطيع.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فإذا أتيت بما تستطيع، فهذا هو الدين، وهذا هو السماحة في الإسلام، وأما أنك تريد تفعل الدين كله، ما تستطيع هذا؛ الدين كثير.

«**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**»، إذا أردت أن تحصي الدين، وتقوم به كله، الدين يغلبك، الدين يغلبك، تعجز عنه، وتنقطع؛ لأن هذا ملاحظ أن المتشددين الذين يشددون على أنفسهم ينقطعون، ويتركون العمل.

فإذا اتبعت الأسهل، فالأسهل هذا يعينك على الاستمرار، إذا توسطت بين الكسل وبين الشدة، هذا يعينك على الاستمرار في الطاعة، أما إذا تشددت، فإنك تمل، وتترك العمل.

صلِّ كل الليل بعض الليالي، الليلة الثانية ما تستطيع أن تنام، تعجز، لكن إذا قمت من كل ليلة ما تيسر، سهل عليك هذا، واستمررت عليه.

الصيام تريد أن تصوم كل السنة، ما تفطر أبدًا، تعجز، لو صمت أول سنة، تعجز في السنة الثانية، فصمْ حسب استطاعتك: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، إن استطعت رمضان تصومه أداءً، تصوم، وإلا إذا صرت معذورًا، تفطر، وتقضي ﴿ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

تقوم من الليل ما تيسر، ولا تقم الليل كله، بل تنام، ترتاح، وتقوم ما تيسر من الليل: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل:٢٠]، فهذا الدين -ولله الحمد- يسر.

«**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ**»، تريد أن تتغلب عليه، أنت لو تريد أن تحصيه ما تقدر، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، وأحمد في مسنده (٣٧/ ٦٠)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعليك أن تفعل ما تستطيع، وتداوم عليه، أفضل من أن تُنهك نفسك، ثم تنقطع؛ فتترك العمل في النهاية.

وما رأينا أحدًا تشدد، إلا وترك العمل، وانتكس، هناك أناس تشددوا، الآن صاروا مع الفسَّاق، تحللوا من الدين؛ عقوبةً لهم -والعياذ بالله-.

فالوسطية في الدين هي الخير؛ بين الغالي وبين الجافي، هذا هو دين الإسلام، الفرائض لا تُترك، بل تؤدى، أما النوافل، فتأتي منها ما يسر الله لك وما تستطيع.

والفرائض ليس بها مشقة -كما سبق-، الصلاة ما فيها مشقة، خمس صلوات في اليوم والليلة، الزكاة على الغني، والفقير ما عليه زكاة، على الغني ربع العشر، عندك مليارات، ما يجب عليك إلا ربع العشر، عندك مائة ريال، ما عليك إلا ربع العشر، الحمد لله على الكثير والقليل.

ربع العشر ما أحد يعجز عنه، إلا الفقير الذي ما عنده شيء، هذا ما عليه شيء، الصيام شهر واحد في السنة، إن قدر يصومه أداءً، وإلا يقضيه إذا أفطر لعذر، والقضاء موسع -والحمد لله.

الحج -كما تعلمون- الذي ما يستطيع، ما عليه شيء، الذي يستطيع عليه مرة واحدة في العمر، هل أيسر من هذا شيء؟ لا، ما أيسر من هذا شيء، النوافل الباب مفتوح لك، مادام إنك عندك رغبة، تأتي بما يسر الله لك منها، وإذا تركتها، ما عليك شيء، ما هي بواجبة، هذا هو اليسر في الإسلام.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا**»؛ أي: أصيبوا السُّنة، احرصوا على إصابة السُّنة، فإذا لم تقدروا على الإصابة، على الأقل قاربوا الإصابة:

«فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا»، من لم يستطع التسديد، فإنه يقارب، ما يستطيع نعم، «فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا».

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَبْشِرُوا»؛ ما يكون عندك قنوط وخوف، يكون عندك رجاء -أيضًا-، تجمع بين الخوف والرجاء، فلا تقتصر على الخوف، فتكون مثل الخوارج، ولا تعتمد على الرجاء فقط، فتكون مثل المرجئة، ولكن بين الخوف والرجاء: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧]، هذه سيرة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تجمع بين الخوف والرجاء.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»؛ يعني: استعينوا على السير الحسي، المسافر السفر الحسي بين البلاد لا يسير وسط النهار وقت الشمس، ولا يسهر الليل كله بالسير، بل يستغل وقت الإبراد.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْغَدْوَةِ»، وهي الصباح في البرد، «وَالرَّوْحَةِ»؛ بعد الظهر وبعد ما يبرد الجو، «وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»؛ من الليل، ليس كل الليل، خذ من الليل وقت الدُّلجة -أي: آخر الليل-؛ بهذا تقطع المسافة، وأنت مرتاح، هذا للسفر الحسي.

السفر المعنوي إلى الآخرة مثله -أيضًا-، استغل أوقات الإبراد وأوقات النشاط، وارتح في الأوقات الشاقة، ارتح وقت القيلولة، وقت النوم بالليل نم، لكن تداوم على هذا، «أَحَبُّ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ»[1]، تداوم على هذا، المطلوب المداومة، أما أنك في يوم تفني نفسك، وفي يوم ما تفعل شيئًا، فهذا لا يصلح.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٥).

# بَابٌ: الصَّلَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ

**وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾؛ يَعْنِي: صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ.**

---

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَاب الصَّلَاةُ مِنْ الْإِيمَانِ)؛ يعني: الصلاة عمل، وهي من الإيمان، بل هي أفضل خِصال الإيمان، الدليل على أن الصلاة إيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم.

ما الدليل؟ الدليل أن هذه الآية نزلت في الذين كانوا يصلون إلى بيت المقدس من المسلمين، ثم ماتوا قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، ماتوا وهم يستقبلون بيت المقدس؛ لأن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أول ما بُعث كان يصلي إلى بيت المقدس، حوالي سنتين يصلي إلى بيت المقدس، حتى في المدينة لما هاجر كان يصلي في الأول إلى بيت المقدس، ثم إن الله حولهُ من بيت المقدس إلى الكعبة -هذا يسمى بالنسخ في الشريعة، هذا نسخ-، فنسخت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]، فاستقبل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القبلة الكعبة، وتحول عن بيت المقدس، والمسلمون تبعوه في ذلك، هناك ناس في العهد الأول ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، ندم عليهم أقاربهم، قالوا: ما حال الذين ماتوا، ولم يصلوا

إلى الكعبة؟ الله جَلَّوَعَلَا طمأنهم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس(١).

هذا بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صلاتكم إلى الكعبة بأمر الله جَلَّوَعَلَا، فمن صلى إلى بيت المقدس في وقته، صلاته صحيحة، ومن صلى إلى الكعبة بعد النسخ، صلاته صحيحة، فهذا من يُسر هذا الدين -ولله الحمد-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأن هذا بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشرعه، فطمأنهم على الأموات.

**الشاهد من هذا:** أن الله جعل الصلاة إيمانًا، سماها إيمانًا، وهذا صريح أن العمل من الإيمان، وأن الأعمال الصالحة كلها من خِصال الإيمان، وفي هذا ردٌّ على المرجئة الذين يخرجون العمل بجميع من الإيمان.

هذا رد واضح أن الله سمى الصلاة إيمانًا، وهي عمل، فدلّ على أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل، ليس قولًا فقط، ولا اعتقادًا فقط، ولا عملًا فقط، لابد من الثلاثة:

* قول: نطقٌ باللسان.

* اعتقادٌ بالقلب.

* وعملٌ بالجوارح.

هذا هو الإيمان، ومنه الصلاة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) سبق (ص١٠٢).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾؛ يَعْنِي: صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ)؛ يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، أما قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عِنْدَ الْبَيْتِ) هذا محل إشكال؛ كما ذكر الحافظ ابن حجر[1]، المراد: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل نسخ القبلة.



(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٩٦).

٤٠ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ». قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]».

---

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ)، نعم؛ لأن أجداد الرسول من جهة الأم وأخواله من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أمه من الأنصار من بني النجار.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا»، بعد ما فُرضت الصلاة.

الصلاة فُرضت قبيل الهجرة، وصلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، فرضت متى؟ ليلة المعراج، والإسراء والمعراج متى حصلا؟ قبل الهجرة بيسير، ففرضت الصلاة قبل الهجرة، وصلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمكة، ثم هاجر إلى المدينة، وكان في مكة عند البيت، وفي المدينة كان يصلي إلى بيت المقدس، إلى أن حول الله القبلة إلى الكعبة، فتحولوا إلى الكعبة.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ»: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة:١٤٤]؛ لأنه يحب أن يستقبل البيت الحرام؛ لأنه قبلة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ»، أول صلاةٍ صلاها بعد تحويل القبلة إلى الكعبة صلاة العصر.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ»، نعم، راكعون إلى بيت المقدس، باقون على الأصل، ما بلغهم أن القبلة تحولت.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ»، انظر! الإيمان، ما ذهبوا يسألون هو صحيح ولا غير صحيح، ولماذا؟ لما بلغهم الخبر، ووثقوا من المخبر، استداروا وهم في الصلاة؛ امتثالًا لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا المؤمن، نعم، استداروا

وهم في الصلاة، أولها إلى بيت المقدس، وآخرها إلى مكة، وكلها صحيحة -والحمد لله-، لكن العبرة باستسلامهم على طول، وانصرافهم في الصلاة من كمال إيمانهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وانقيادهم.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ»؛ لأنه قبلتهم، لأن بيت المقدس قبلتهم، وكانوا يحبون ويعجبون من أن الرسول وافقهم على ذلك؛ لأنهم أصحاب أهواء.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ»، أهل الكتاب عمومًا يعني: اليهود وغيرهم، لكن هذا فيه نظر؛ لأن النصارى لايستقبلون بيت المقدس، يستقبلون المشرق، يصلون إلى المشرق، ربما أنهم كانوا في الأول يصلون إلى بيت المقدس؛ لأن استقبالهم للمشرق هذا من التغيير الذي غيروا به دينهم؛ لأنهم جاءهم رجلٌ يهودي ادعى الإيمان بالمسيح؛ ليقلب النصرانية، ويغيرها، ومن جملة ما غير القبلة، جعلهم يصلون إلى بيت المقدس؛ لأنه مشرق الأنوار -كما يقولون-، مطلع الشمس، إلى آخره...

وهذا لم يشرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنما هو من تغييرات هذا اليهودي، الذي قبلوا منه تغييراته، الصليب -أيضًا- هو الذي أحدثه، هذا اليهودي هو الذي أحدث عبادة الصليب، وقبلوها منه لغباوتهم.

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ»؛ يعني: اليهود لما ولى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجههُ قبل البيت لأمر الله، أنكروا ذلك؛ لأنهم يريدون

أن يستمر على بيت المقدس؛ لأنهم أصحاب أهواء، ما يقولون: هذا أمر الله، ونحن ندور مع أمر الله. بل يتعصبون لما هم عليه -حقًا كان، أو باطلًا-، هذا شأن اليهود.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا)، هذا محل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، هذا في الذين ماتوا وهم يستقبلون بيت المقدس.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ)؛ يعني: هل هم على حق، أو على غير حق؟ ماتوا على استقبال بيت المقدس، الله جَلَّ وَعَلَا طمأنهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾)؛ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأنها بأمر الله وطاعة لله عَزَّوَجَلَّ، فالعمل بالشيء قبل أن ينسخ طاعة لله، أما إذا نسخ، فالطاعة تكون بالعمل بالناسخ وترك المنسوخ.

❁ ❁ ❁

# بَابُ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ

انتهينا من قضية الصلاة إلى بيت المقدس، والصلاة إلى الكعبة، ولاشك أن تحويل الكعبة أحدث عند الناس استغرابًا؛ فاليهود أنكروا هذا، وهم يعلمون أنه حق، ولكنهم يكابرون.

والمشركون -أيضًا- فرحوا، قالوا: هذا رجل يتخبط؛ حينًا كذا وحينًا كذا، ففرحوا بالاعتراض على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأناسٌ مسلمون ضِعاف الإيمان ارتدوا عن دين الإسلام -والعياذ بالله-؛ تأثرًا باليهود، ولهذا قال: ﴿لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣]، وإنها -أي: قضية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة- ﴿لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٣].

فهؤلاء يقبلون ما أمر الله به، ولا يعترضون، أما الذين عندهم ضعف إيمان، أو عندهم شك، فإنهم تكبر عليهم هذه المسألة، ولايعلمون أن الأمر لله، يشرع ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والطاعة هي اتباع أمر الله، لا اتباع الهوى والتعصب لما عليه الآباء والأجداد، هذا هو الإيمان؛ يدور مع أمر الله عَزَّ وَجَلَّ حيث دار.

فتحويل القبلة امتحان بلا شك: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣].



**٤١ - قَالَ مَالِكٌ: أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا».**

---

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ) نعم، «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[1]، متى يكون إسلام المرء حسنًا؟ إذا كان إسلامه على طاعة الله وعلى أوامر الله، ولا يعترض على شرع الله عَزَّ وَجَلَّ، بل يستسلم، ويطيع، وينقاد، وتطيب نفسه بذلك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَسُنَ إِسْلَامُهُ»؛ يعني: استقام، استقام على الاعتدال؛ لا غلو، ولا جفاء، بل يكون متوسطًا في دينه بين الإفراط والتفريط، هذا حُسن الإسلام، فإن أفرط وغلا، فهذا من السوء، وإن فرط وجفا، فهذا من السوء، أما الحُسن، فهو ما بين الإفراط والتفريط والجفاء والتشدد.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا»، إذا أسلم، إذا أسلم المرء وتاب إلى الله، دخل في الإسلام، فالإسلام يَجُبُّ ما قبله، التوبة تَجُبُّ ما قبلها من الكفر والشرك، والأعمال القبيحة كلها يكفرها الله بالتوبة: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨]،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الحديث: «الإسلام يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّوبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا، والْهِجْرَة تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا»[1]، ثم بعد ذلك -بعد ما يُسلم- يستقبل العمل الحسنة بعشرة أمثالها، إذا عمل حسنة، الله يعطيه عشرة أمثالها من الجزاء؛ تفضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويزيد على عشرة -أيضًا- إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]، فلا حدّ للمضاعفات، وهذا كله من فضل الله، يعطيه الله شيئًا لم يعمله، بل من فضله وإحسانه، وأما من أساء، فالسيئة جزاؤها سيئة، هذا عدل منه -سبحانه-، ما يحمله الله أكثر من عمله السيئ.

الطاعة يزيدها الله، وأما المعصية، فبقدرها، ولا يزيدها الله؛ عدلًا منه -سبحانه-، فالمضاعفة فضلٌ، والسيئة بالسيئة عدلٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن شاء، عفا عنها -أيضًا-.

قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»؛ القصاص يعني: الجزاء.

بعدما يتوب، ويسلم، يستقبل العمل، يكون الجزاء على عمله «الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»، والسيئة بمثلها، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠].

---

(١) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٢/ ٦٣٠)، والطبري في تاريخه (٣/ ٣١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ ١٩٨٧): عَنْ حَبِيب، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرو بْنُ الْعَاصِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِي، قَالَ: قَالَ: «يَا عَمْرو بَايِعْ فَإِنَّ الْإِسْلام يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، والهِجْرَة تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا».

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ»، هذا في الحديث، وفي الآية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]، أكثر من هذا -أيضًا-، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١]، فباب الفضل والمضاعفات مفتوح، وأما السيئة، فلا يزيد عليها، يجزي بمثلها فقط، أو يعفو الله عنها.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا»؛ أو يتوب الله على صاحبها إذا كانت دون الشرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].



**٤٢- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا».**

---

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا»**، هذا الجزاء، بعد إسلامه يتجه إلى العمل، الحسنات يضاعفها الله، والسيئات يجازي بمثلها، أو يعفو عنها؛ لفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يدل على يسر الإسلام؛ أنه يسر، دين اليسر -ولله الحمد-.



## بَابٌ: أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ

**٤٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلَانَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُم بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا. وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ».**

---

دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيته، وإذا بامرأةٍ عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فسأل عنها، قالت: فلانة، وذكرت من اجتهادها في العبادة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْ»؛ كلمة زجر، «مَهْ»؛ يعني: كفْ، أمرها أن تكف عن هذا؛ عن التشدد.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليها التشدد في العبادة، ووجهها إلى أن تعمل ما تيسر، ولا تشق على نفسها، وقال: «**لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»، الله جَلَّ وَعَلَا يُقبل على عبده في العبادة، ويتقبل منه، ويستمر على ذلك، حتى ينصرف العبد، إذا انصرف العبد، ينصرف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنه: «**لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»، والله لا يمل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن هذا من باب المقابلة والمشاكلة في اللفظ؛ مثل: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠]، وقال تعالى: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة:٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة:١٤-١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال:٣٠].

هذه الأفعال، وإن كانت مكروهة من العباد، إلا أنها من الله كمال، وليست نقصًا، وإنما هي كمال؛ لأنها عدل، مبنية على العدل والجزاء، ليست على الظلم وعلى الجور.

سخرية العباد أو استهزاء العباد بعضهم من بعض، أو مكر العباد هذا ظلم، ولا يجوز، أما هذا من الله، فهو عدلٌ وجزاءٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُحمد عليه، فهذه الأفعال بالنسبة لله ليست مثل الأفعال التي عند المخلوقين، وإنما سُميت بهذه الأسماء من باب المقابلة والمشاكلة فقط.



## بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِه

**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، وَقَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ، فَهُوَ نَاقِصٌ.**

---

من أصول أهل السُّنَّة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ خلافًا للمرجئة، الذين يقولون: الإيمان في القلب، وهو شيءٌ واحد، لا يزيد، ولا ينقص. فهو يريد الرد عليهم في ذلك؛ فالإيمان يزيد، هذا بنص القرآن: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، هذا نص على الزيادة.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، هذا نص على أن الإيمان يزيد عند سماع القرآن، ويزيد في الطاعات؛ كلما أطاع المسلم ربه وتقرب إليه، زاد في إيمانه. هذا الشيء معروف.

وكذلك ينقص بالمعصية؛ لأن الذي يزيد ينقص، فهو ينقص بالمعصية؛ كلما عصى ربه، نقص إيمانه. هذا معنى قولهم: يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

ومن الأدلة حديث شُعب الإيمان: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»[1]، هذا يدل على أن الإيمان له أدنى، وله أعلى؛ ليس هو شيئًا واحدًا، بل له أعلى، وله أدنى.

---

(١) سبق (ص ١٥).

كذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[١]، دل على أن الإيمان يضعف ويقوى، وفي رواية: «وَلَيس وراءَ ذلك مِنْ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[٢]، دل على أن الإيمان يضعف، حتى يكون كما يأتي، يكون على وزن حبة خردل؛ أقل شيء.

الأدلة في هذا واضحة في زيادة الإيمان ونقصانه، وأن الناس ليسوا على حدٍّ سواء؛ بعضهم أقوى إيمانًا من بعض، بعضهم أضعف، ليسوا على حدٍّ سواء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣])؛ انظر: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾؛ زدناهم على إيمانهم هدى، فدل على أن الإيمان يزيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١])؛ كذلك هذا نص من القرآن على أن الإيمان يزيد: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ لأنك جئت بما يُوافق كتابهم. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾؛ فدل على أن الإيمان يزيد.

---

(١) سبق (ص ١٤).
(٢) سبق (ص ١٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣])؛ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، فدل على أن الدين منه أكمل، ومنه كامل، ومنه دون ذلك، الإكمال معناه: الزيادة والإتمام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ، فَهُوَ نَاقِصٌ)، هذا وجه الاستدلال، (إِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ)؛ يعني: من أمور الدين، ترك طاعة من الطاعات، فإنه ينقص إيمانه؛ لأنه إذا تُرِكَ الكمال، جاء النقص، إذا تُرِكَ الكمال، ما الذي بعد الكمال؟ النقص.



٤٤ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ».

---

هذا دليل على أن الإيمان قولٌ واعتقاد.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ باللسان «وَفِي قَلْبِهِ»؛ هذا اعتقاد «فِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ»؛ هذا دليل على أن الإيمان يكون على وزن حبة خردل، أو أضعف، فدل على أنه يزيد وينقص.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ»؛ وزن شعيرة، الشعيرة معروفة، هي حبة الشعير، فدل على أن الإيمان ينقص، حتى يكون وزن حبة شعيرة، ومن الناس من يكون إيمانه يُثقل بالجبال الراسية؛ الناس ليسوا على حدٍّ سواء.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»؛ فدل على أن الإيمان ينقص، حتى يصل إلى وزن حبة بُر.

قوله ﷺ: «وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»؛ وزن ذرة، والذرة قيل: هي الهباءة التي تطير في الهواء، وقيل: هي صغار النمل(١)، فدل على أن الإيمان يضعف، حتى يكون مثقال ذرة.

وهذا الحديث فيه أن الإيمان ينقص، حتى يكون بمقدار هذه الأشياء: شعيرة، بُرة، ذرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: قَالَ أَبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، قال: حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ إِيمَانٍ» مَكَانَ «مِنْ خَيْرٍ»)؛ وزن ذرةٍ «مِنْ إِيمَانٍ» بدل قوله: «مِنْ خَيْرٍ»؛ لأنه في الحديث «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»، وفي الرواية الثانية: «وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»، ففسر الخير بالإيمان، دل على أن الإيمان يكون قليلًا، حتى يكون مقدار ذرة.



(١) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٠٥)، والقرطبي (٥/ ١٩٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٥٧).

**٤٥- حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، سَمِعَ جَعْفَرَ بْنَ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو العُمَيْسِ، أَخْبَرَنَا قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ».**

---

هذا كعب الأحبار، وكعب الأحبار دخل في الإسلام، قال لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا»، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّ آيَةٍ؟»، فذكر هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، هذه نعمة عظيمة، إكمال الدين هذا نعمة عظيمة على الأمة.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، هذه آية عظيمة، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ»، والمكان وهو عرفة، وهو مشعر عرفة، نزلت هذه الآية على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو واقفٌ يوم الجمعة في عرفة، خفيت على المسلمين، وهي يوم عيد؛ لأن يوم عرفة يُعتبر قبل العيد بيوم؛ فهو تابع لعيد النحر، المسلمون عندهم عيد في هذا، شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الحاصل أن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، دل على أن الدين منه ما هو كامل، ومنه ما هو ناقص؛ لأن من ترك الكمال، فقد نقص؛ كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل قليل: (فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ، فَهُوَ نَاقِصٌ)(١).



(١) سبق (ص ١٥٨).

## بَابٌ: الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلَامِ

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

٤٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلِ ابْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ».

---

الزكاة هي الصدقة الواجبة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (مِنَ الإِسْلَامِ)؛ يعني: من دين الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]، هذا هو الإسلام، الدين هو الإسلام؛ ﴿ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾، فجعل الزكاة من ﴿ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾؛ يعني: الدين القيم، الملة القيمة المستقيمة.

والزكاة عمل، وحقٌّ مالي، فدل على أن الأعمال والصدقات من الإيمان.

**الشاهد في الحديث قوله:** «لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ»؛ فدل على أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا الرجل جاء يسأل عن دينه مهتمًا بذلك من بعيد، جاء إلى الرسول ﷺ قادمًا من سفر أشعث ثائر الرأس ويُتمتم بكلامٍ لا يفهمونه، حتى جلس إلى الرسول ﷺ، فسأله عن الإسلام، فأخبره النبي ﷺ بهذه الفرائض: الصلاة، والزكاة، وأخبره بفرائض الإسلام، وكل مرة يقول: «هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟»؛ هل علي غير الصلوات الخمس؟ قال ﷺ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»، الصلاة المفروضة هي الصلوات الخمس، بقية الصلوات كلها نافلة، وليست فريضة، والزكاة -أيضًا- هذه فريضة، والصدقة التبرع والتطوع هذه نافلة؛ «**إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**».

فالرجل قال: «لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ»، الرسول ﷺ أقره على ذلك، قال: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»؛ يعني: إن صدق أنه يأتي بالفرائض، ولا يزيد على غيرها، فقد أفلح؛ لأن الأصل هو الفرائض، فإذا أتى بها المسلم، كفى هذا، الفرائض زيادة، زيادة خير، ولا ينقص من الفرائض؛ لايترك الصلاة، لايترك الزكاة، لايترك الصيام، فالرجل تعهد أنه ما ينقص شيئًا من الفرائض، وأما النوافل، فلا يزيد غير الفرائض؛ لأنها ليست واجبة، دل على أن النوافل يجوز تركها، وأما الفرائض، فلا يجوز تركها.

أما من فعل ذلك -من أدى الفرائض-، فإنه يدخل الجنة، ويكون مسلمًا، هذا دليل على الإيمان يزيد وينقص، يزيد إذا أتى بالأعمال الصالحة، وينقص إذا باشر شيئًا من المعاصي والمخالفات، وترك شيئًا من الواجبات.

## بَابٌ: اتِّبَاعُ الجَنَائِزِ مِنَ الإِيمَانِ

٤٧ – حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ المَنْجُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنِ الحَسَنِ، وَمُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جِنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ» تَابَعَهُ عُثْمَانُ المُؤَذِّنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ.

---

هذا كتاب الإيمان كله في أن الأعمال من الإيمان؛ ردًا على مَن؟ على المرجئة؛ أن الأعمال كلها -فرضها ونفلها- من الإيمان؛ ردًا على المرجئة الذين يقولون: الأعمال ليست من الإيمان. وسيأتي -أيضًا- النص عليهم والرد عليهم صراحةً من البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنهم فرقة ابتُلي المسلمون بها؛ كما ابتلوا بالخوارج، الذين هم على النقيض من المرجئة، هما طرفا نقيض؛ الخوارج يغلون، ويزيدون، وهؤلاء ينقصون -والعياذ بالله-، فهم على طرفي نقيض، ابتُليت بهم الأمة؛ فيجب على المسلم أن يعرف الطائفتين من أجل أن يحذر منهما.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اتَّبَعَ جِنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ،

**كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»**؛ نعم اتباع الجنائز من الإيمان، بدليل قوله: «**مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»، فدل على أن اتباع الجنائز -وهو عمل- أنه من الإيمان.

تشييع الجنازة مُستحب مُتأكد، وهو من حق المسلم على أخيه المسلم، إذا مات، يتبع جنازته، يُشيعه، يدعو له، يُصلي عليه، يحمله، يدفنه(١)، كل هذا من تشييع المسلم، فإذا تكامل تشييع الجنازة، صلى عليها، ذهب معها إلى المقبرة، شارك في دفنها، أو حضر دفنها، فإنه يحصل على قيراطين من الأجر.

القيراط في الأصل قليل عند الناس، وهو ثلث الثُمُن، جزءٌ من أربعة وعشرين جزءًا، هذا عند الناس، لكنه عند الله عظيم؛ مثل: جبل أُحد، فقيراط الآخرة يختلف عن قيراط الدنيا.

**والشاهد من هذا:** فضل اتباع الجنائز المسلمة، وأنه من الإيمان اتباعها إيمانًا واحتسابًا، فإذا أكمل التشييع، حصل على كمال الأجر؛ على قيراطين عظيمين، كل واحد منهما مثل جبل أُحد، وإن اقتصر على بعض أحوال الجنازة؛ بأن صلى عليها، ورجع، لم يتبعها، يكون له قيراط واحد من الأجر؛ ففيه فضل تشييع الجنائز، وفضل إكمال التشييع إلى أن تُدفن، وأن ذلك من

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٧٢)، ومسلم (٢١٦٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هُنَّ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ**».

الإيمان؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، هذا واضح أن الأعمال تُسمى إيمانًا؛ كما سبق في الصلاة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم، سماها إيمانًا[1].

فكيف يأتي من يقول من المرجئة: الأعمال ليس من الإيمان؟!



(١) سبق (ص١٠٢).

# بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لا يَشْعُرُ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ: مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ. وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

---

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ)، كذلك من الإيمان الخوف، الخوف من أي شيء؟ الخوف على عمله أن يحبط، فالإنسان لا يُزكي نفسه، ولا يأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ، فيكون خائفًا على دينه، خصوصًا في وقت الفتن «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[1]، فالفتن فيها خطرٌ على دين المسلم وعلى إيمانه.

فمن الإيمان الخوف على العمل، والخوف من أعمال القلوب، هو عمل أم لا؟ الخوف، والرجاء، والخشية، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والتوكل

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كل هذه أعمال، لكنها من أعمال القلوب؛ لأن الأعمال على قسمين: أعمال القلوب، وأعمال الجوارح.

وكلها من الإيمان؛ أعمال القلوب وأعمال الجوارح كلها من الإيمان، فالذي يخشى من الفتن، ويخاف على دينه، هذ دليل على كمال إيمانه، والذي لا يخاف ويزكي نفسه، هذا دليل على نقص إيمانه، نعم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا).

إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كبار التابعين.

يقول -انظر أهل الإيمان-: (مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا)، يوازن بين قوله وعمله، وهكذا المؤمن لا يغفل عن عمله، ويزكي نفسه، أو يقول قولًا، ولا يعمل به، يقول قولًا طيبًا، لكنه لايعمل به: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

فلا يقتصر الإنسان على القول والترغيب في الخير، ودعوة الناس إلى الخير، ولكنه لا يعمل في نفسه، بل يبدأ بنفسه أولًا، هذا المؤمن.

إبراهيم التيمي هو كذلك، يعرض قوله على عمله، هل عمله على قدر قوله أم أنقص؟ يخاف على نفسه من النقص، وأن يقول قولًا طيبًا، لكنه لا يعمل به، وهذا أمرٌ صعب ودقيق، يجب على المسلم أن يتوقف عنده.

فكون الإنسان يخشى على دينه، ويخشى من النفاق، هذا دليل على كمال إيمانه، وكونه يأمن، هذا دليل على نقص إيمانه، أو عدم إيمانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ)، ابن أبي مليكة -أيضًا- من كبار التابعين.

يقول: (أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ)؛ أن يقول قولًا، ولا يعمل به، وهم صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن كلما قوي الإيمان والدين، كثر الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يُزكِّي نفسه.

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم:٣٢]؛ يعني: لا تمدحوها، لا تمدحوا أنفسكم وتمدحوا أعمالكم، بل كونوا خائفين على أعمالكم وعلى أنفسكم من الانتكاس والنقص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ)؛ أي: النفاق العملي، لا النفاق الاعتقادي، يخافون على أنفسهم من النفاق العملي، الذي يصدر من المسلم أحيانًا، أما النفاق الاعتقادي -والعياذ بالله-، فهذا لم يدخل معنا، هذا كفرٌ أكبر، لكن النفاق العملي هو الذي يدخل على المؤمنين، فينبغي أن يحذروا منه.

ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: **«إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: **«الرِّيَاءُ»**[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ١٥٤).

يقوم الرجل، فيصلي، ويزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجلٍ إليه، هذا الشرك الأصغر، وهو النفاق العملي، الصحابة يخافونه، والرسول خشيه على صحابته، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمين سر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمنافقين، ولكن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يبيِّن هذا للناس، فكان عمر يسأله: «أَنْشُدُكَ اللهَ هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَعْنِي: فِي الْمُنَافِقِينَ-، فَيَقُولُ: لَا، وَلَا أُزَكِّي بَعْدَكَ أَحَدًا»[1]، فلا يُزكِّي نفسه، هذا من كمال إيمانه؛ أنه يخاف على دينه، ويخاف على عمله أن يحبط، وهو لا يدري: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، قد يحبط عمل الإنسان وهو لا يدري، هذا خطر عظيم، فيجب على المسلم أن يخاف منه غاية الخوف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»)، لا أحدٌ منهم يمدح نفسه، ويقول: أنا كامل الإيمان مثل إيمان جبريل وميكائيل سادة الملائكة. لا يقول هذا، بل يعتبر نفسه مقصِّرًا في جنب الله عَزَّ وَجَلَّ، ويستقل عمله، ولا يستكثره، ولايدري هل تُقُبِّل منه، أو لم يُتقبَّل منه؛ يخافون على أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَهُمُ الَّذِينَ يَزْنُونَ وَيَسْرِقُونَ؟»؛ يعني: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]؟

(١) ذكره ابن القيم في الجواب الكافي (١/ ٤٢)، وطريق الهجرتين (١/ ٢٨٩).

قال: «**لَا، يا ابْنَةَ الصِّديق، لَكِنَّهُم الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَخَافُونَ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِم أَعْمَالُهُمْ**»[(١)].

قلوبهم وجلة؛ لا يُزكُّون أنفسهم، ولا يستكثرون أعمالهم؛ لأنك مهما عملت من الطاعات، فأنت لا تدري هل تقبَّله الله أم لا، وأيضًا لو تقبَّله الله، فإنه لا يفي بحق الله؛ لأن حق الله عليك عظيم، لكن الله يعفو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإلا فليس أحد يستوفي حق الله عليه.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أكمل الخلق في عبادة الله يقول في دعائه: «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[(٢)].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**»، لا أحد يحصي حق الله عليه، لكن يأتي بما يستطيع، والله جَلَّ وَعَلَا يعفو عنه تقصيره، والذي لايستطيعه، أما إذا أعجب بعملهن فإنه يحبط، ويبطل؛ لأنه زكَّى نفسه، الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:٣٢].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيُذْكَرُ عَنِ الحَسَنِ: «مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ»)؛ الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ إمام التابعين يقول: (مَا خَشِيَهُ)؛ يعني: النفاق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِلَّا مُؤْمِنٌ وَمَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ)؛ فالذي لا يخاف من النفاق هذا دليل على نفاقه، والذي يخشاه هذا دليل على إيمانه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فالشاهد من هذا أن الخوف من النفاق من الإيمان، وهو عملٌ قلبي من أعمال القلوب، دل على أن الأعمال تدخل في الإيمان، سواءً كانت أعمال قلوب، أو أعمال جوارح.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥])، المؤمن يحصل منه خطأ، ويحصل منه نقص: «كُلُّكُمْ خَطَّاء، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[١]، فيحصل منه تقصير، ويحصل منه نقص، لكنه يتدارك ذلك بالتوبة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ [آل عمران:١٣٥]، هذا محل الشاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾ [آل عمران:١٣٥]؛ لم يستمروا على المعصية، بل أقلعوا عنها، تركوها لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]: لم يصروا، لم يستمروا على المعصية، ويقول: سهلة هذه، الناس يفعلون كذا، والناس يفعلون كذا، أنا ليس لدي إلا هذه، سهلة.

هذا تعاظم -والعياذ بالله-، الإنسان إذا استصغرها، عظمت، إذا استصغر المعصية، عظمت، وزادت، إذا خاف منها -ولو كانت كبيرة

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عظيمة-، فإنها تصغر، وتنمحي، إذا خاف منها وخشي منها، فإن الله جَلَّوَعَلَا يمحوها عنه، أما إذا تساهل بالمعاصي، وقال: هذا سهل، الناس يفعلون كذا وكذا. أو بعضهم -والعياذ بالله- يتلفَّظ، ويقول: هذه قشور، الطاعات والمستحبات، يقول: هذه قشور، الكلام على القلب فقط، وأما الأعمال، فهذه قشور، لا تهتموا بها.

هذا -والعياذ بالله- ردة عن دين الإسلام، الطاعات قشور؟! ويقول: هذه جزئيات، هذه وهذه. هذا كله من الغرور -والعياذ بالله.

فالمسلم يعظِّم الإسلام، ويعظِّم الدين، ويعظِّم الطاعات، ويكره المعاصي والذنوب، يكرهها، وينفر منها: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ [الحجرات:٧]، فالذي يكره الطاعات، ويحب المعاصي، هذا ليس بمؤمن، أو يستصغرها، ويقول: سهلة هذه. إذا استصغرتها، عظمت وكبُرت عند الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن الإيمان الخوف، خوف القلب من هذه الأمور.



**٤٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ المُرْجِئَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».**

---

قوله ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ**»، هذا عمل.

قوله ﷺ: «**فُسُوقٌ**»؛ خروج من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

والمرجئة يقولون: لا، لا يضر هذا، لا يضر الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

نعم، هو لا ينفع مع الكفر طاعة، هذا صحيح، لكن أنه لا يضر مع الإيمان معصية، هذا باطل، بل يضر، تضر المعصية مع الإيمان، تنقص الإيمان، فهذا من استحقار المعاصي والاستخفاف بالمعاصي -والعياذ بالله-، وهذا عمل المرجئة، وهي فئةٌ ضالة، الإرجاء أصله في اللغة: هو التأخير: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:١٠٦]؛ يعني: تأخر شأنهم، مرجَؤون، مؤخَّرون لأمر الله؛ إما يعذبهم، وإما يتوب عليهم.

**فالإرجاء في اللغة: هو التأخير**[١].

سمي الذين لا يرون أن العمل من الإيمان (مرجئة)؛ لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، فسموا بالمرجئة، وهم على النقيض -كما سبق- من

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٦)، ولسان العرب (١/ ٨٤)، والقاموس المحيط (١/ ١٢٨٧).

الخوارج؛ الخوارج تشددوا، وحكموا على العصاة بالكفر، ولو لم يصل إلى حد الكفر، وهؤلاء تساهلوا.

الأولون عظَّموا المعاصي، لكن زادوا في التعظيم، فكفَّروا هؤلاء الخوارج، هؤلاء تساهلوا، وزادوا في التساهل، حتى قالوا: المعاصي لاتضر. فهم على النقيض من أولئك، وكلا الطائفتين ضال، وخارجٌ عن حدود الله، والواجب على المؤمن التوسط والاعتدال؛ لا يكن مع الخوارج في غلوِّهم، ولا يكن مع المرجئة في تساهلهم.

الآن يدعون للتسامح: تسامحوا، لا تحاسبوا هذه الأمور، ولا تخطر ببالكم، وتسامحوا على الناس، ولو لم يصلوا، ولو لم يصوموا، ولو لم يدفعوا الزكاة، تسامحوا؛ هذا تشدُّد أنكم تحكمون على الناس بهذه الأمور.

التسامح في حقوق الله؟!! تريد أن تسامح، تسامح في حقك أنت، أما أنك تسامح في حقوق الله، فهذا قولٌ على الله بغير علم -والعياذ بالله-، فلا يجوز التسامح في أمور الدين.

الله جَلَّوَعَلَا أمر بإقامة الحدود، وأمر بإقامة التعزير، الدين ليس فيه مجاملة، ولا تساهل.

هؤلاء يقولون: تسامحوا، دين الإسلام التسامح.

تسامح فيما يجوز فيه التسامح -حقوق الآدميين-، أما حقوق الله، فلا يجوز التسامح فيها، حتى يسمح الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، أو يعفو الله، أما أنت، فلا تملك أن تسامح عن حقوق الله، ولهذا من تسامح عن إقامة الحدود،

لعنه الله جَلَّ وَعَلَا: «**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ**»(١)، فلا يجوز التسامح في الحدود؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَعَافَوْا فِيمَا بَيْنَكُمْ، قَبْلَ أَنْ تَأْتُونِي، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ**»(٢)، «**إِذَا بَلَغَ الْإِمَامَ فَلَعَنَ اللهُ الشَّافِعَ وَالْمُشَفَّعَ**»(٣)، فلا يجوز التسامح في أمور الدين وحقوق الله، ليس فيها تسامح.

وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**»(٤)؛ إنسان عليه حد جريمة، يأتي شخص، ويحميه، لا يقام عليه الحد؛ هذا ملعون؛ «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا**».

فالله جَلَّ وَعَلَا أمر بالصرامة في إقامة الحدود ومعاقبة المجرمين؛ لأجل أن يرتدعوا، وحمايةً لهذا الدين من التلاعب.



---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الصنعاني في مصنفه (١٠/ ٢٢٩).

(٣) أثر الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٣٥)، والدارقطني في سننه (٤/ ٢٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٨٧٠، ٣١٧٢، ٣١٧٩، ٦٧٥٥، ٧٣٠٠)، ومسلم (١٩٧٨)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

**٤٩- أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: «إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالخَمْسِ».**

---

خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيته، يريد أن يخبر أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بليلة القدر في أي ليلةٍ هي، فحصلت خصومة، تخاصم عنده رجلان، فشغلاه عن بيان ليلة القدر، ثم نسيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَتْ»؛ يعني: نسيها، رُفعت من ذاكرته، لا أنها رُفعت من رمضان، لا، رُفعت من ذاكرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «لَعَلَّ فِي ذَلِكَ خَيْرًا»؛ لأنه إذا خفيت عليهم -وعندهم رغبة في الخير-، سيكثرون من قيام الليل، وفي كل الليالي؛ من أجل التماسها، فيحصل لهم زيادة أجر، خير، فإخفاؤها أحسن لهم من بيانها؛ لأنه لو بُيِّنت، لاقتصروا عليها، وإذا أخفيت وعندهم رغبة في الخير، فسيقومون كل الليالي؛ رغبةً في مصادفتها، فيحصلون على قيام رمضان كله كاملًا، هذا هو الخير، فيحصل لهم قيام رمضان، ويحصل لهم قيام ليلة القدر، أليس هذا خيرًا؟ هذا خير.

والله جَلَّ وَعَلَا أخفاها لحكمة؛ لأجل أن يجتهد المسلمون في كل رمضان، ولأجل أن يتميَّز الراغب في الخير من الكسلان، الكسلان الذي يقول: أنا لا أقوم إلا ليلة القدر؛ ما دامت عُيِّنت، لا أقوم إلا هي.

أما الراغب في الخير، فإنه يقوم كل رمضان؛ رغبةً في الخير.

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**التَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ البواقي أوْ التِّسْعِ**»؛ يعني: في العشر الأواخر، التمسوها في العشر الأواخر، وفي الأوتار آكد، أوتار العشر الأواخر آكد؛ يعني: الحادي والعشرين، الثالث والعشرين، الخامس والعشرين، السابع والعشرين، التاسع والعشرين، هذه الأوتار، هذا عند الحُسَّاب؛ العدد الفردي هو الوتر، والزوجي هو الشفع.



## بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلَامِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ

**وَبَيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: «جَاءَ جِبرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا، وَمَا بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِوَفْدِ عَبْدِ القَيْسِ مِنَ الإِيمَانِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾** [آل عمران:٨٥].

---

لخَّص الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الترجمة، وبيَّن المراد من إيرادها في هذه الترجمة؛ أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل الإسلام والإيمان والإحسان كله من الدين، فقال: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ**».

وفي هذا ردٌّ على المرجئة الذين يُخرِجون الأعمال عن الإيمان وعن الدين؛ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل الإسلام، وهو أعمال جوارح، وجعل الإيمان، وهو من أعمال القلب، وجعل النطق بالشهادتين؛ أن تشهد أن لا إله إلا الله، جعله من الدين، كل هذا من الدين، والدين والإيمان والإسلام بمعنىً واحد، فهذا واضح في الرد على المرجئة الذين يفصلون الأعمال عن الدين.

**المرجئة كثيرة الفرق، لكن تتلخص فرقهم في أربع:**

**الفرقة الأولى الجهمية**(١): الذين يقولون: الإيمان مجرد المعرفة بالقلب،

---

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، =

حتى ولو لم يعتقد، مجرد المعرفة في القلب هذا هو الإيمان، هذا قول الجهمية، وهذا أول مذاهب المرجئة.

**القول الثاني**: أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب، ولو لم يتكلم، ولو لم يعمل، وهذا قول الأشاعرة.

**القول الثالث**: أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، وهذا قول الكرَّاميَّة.

**القول الرابع** -وهو أقربها-: أن الإيمان هو القول باللسان والاعتقاد بالقلب، وهذا قول مرجئة الفقهاء؛ قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب[1].

وكلُّهم مجمعون على إخراج العمل من الإيمان.



=والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٩٠).

(١) راجع كتاب الإيمان من مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٠)، وما بعدها.

٥٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ». قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ» ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: رُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ». قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ.

---

في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسؤاله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر الإسلام على حدة، وأنه خمسة أركان ظاهرة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا.

هذه أركانٌ عملية ظاهرة على الجوارح واللسان.

ثم سأله عن الإيمان، قال: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

هذه أركانٌ باطنة في القلب -الإيمان-، فلابد من اجتماع الأركان الظاهرة والأركان الباطنة، لا يكفي الإسلام بدون إيمان، ولا يكفي الإيمان بدون إسلام، وذكر الدين بأركانه الظاهرة والباطنة.

فمن العلماء من يقول: الإسلام والإيمان شيءٌ واحد؛ كالإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجمع من الأئمة، يرون أنه لا فرق بين الإسلام والإيمان(١)، والجمهور على أن هناك فرقًا بين الإسلام والإيمان؛ الإسلام هو الأركان الظاهرة، والإيمان هو الأركان الباطنة -أركان الإيمان الستة-، والدين هو الجمع بين الأركان الظاهرة والباطنة.

ويقولون: كل مؤمنٍ هو مسلم، وليس كل مسلمٍ مؤمنًا، قد يكون مسلمًا فقط؛ يستسلم، ويصلي، ويصوم، لكن ليس عنده إيمان؛ مثل: المنافقين، المنافقون يستسلمون، ويصلون، ويزكُّون، ويعملون الأعمال الظاهرة تقية، وهم ليس عندهم إيمان في قلوبهم -والعياذ بالله-: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧]، فقد يكون مسلمًا، ولا يكون مؤمنًا، خلاف المؤمن؛ فإنه لابد أن يكون مسلمًا.

ولهذا يقولون: بين الإسلام والإيمان عمومٌ وخصوصٌ مطلق، فكل مؤمنٍ مسلم، وليس كل مسلمٍ مؤمنًا؛ المسلم قد يكون مؤمنًا، وقد يكون غير مؤمن، أما المؤمن، فلا يكون إلا مسلمًا، فبينهما فرق.

(١) ممن قال بهذا محمد بن نصر المروزي، وابن عبد البر، انظر: التمهيد (٩/ ٢٥٠)، وكتاب الإيمان الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية من مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٩)، وجامع العلوم والحكم (ص٢٩)، وفتح الباري (١/ ١١٤)، وعمدة القاري (١/ ١١٨).

ويقولون: إذا ذُكرا جميعًا، صار بينهما فرق، صار الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال القلبية[١]؛ كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذا ذكرا جميعًا، إذا ذكر واحدٌ منهما، دخل في الآخر، إن ذكر الإيمان، دخل في الإسلام، وإن ذكر الإسلام، دخل في الإيمان، هذه قاعدة، افهموها!

هذا هو قول الجمهور في الفرق بين الإسلام والإيمان، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا». ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ»[٢]، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أقرَّ هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن فلانًا مؤمن، بل يقول: مسلم، والمسلم قد يكون مؤمنًا، وقد يكون غير مؤمن.

فلا يمنح الإيمان إلا بعد تحقق الأركان الخمسة والستة، يمنح حينئذٍ الإيمان، وإلا يقال: هو مسلم، والله أعلم هل هو مؤمن أو ليس بمؤمن، الله أعلم، هذا من الأمور التي لا يعلمها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

وليس هذا محله الآن، لكنه للفائدة فقط، وإلا محل هذا أن البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ استدل بحديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على أن الإسلام والإيمان والإحسان

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص٣٠)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٣٣٣).
(٢) سبق (ص٩٦).

كله داخل في الدين، قال: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»، فدل على أنه لادين إلا بالإسلام، ولا إسلام إلا بالإيمان، والإحسان فوق الاثنين؛ مرتبة عليا، الإنسان يتدرَّج: أولًا مسلم، ثم يكون مؤمنًا، ثم يكون محسنًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ**»).

وفي نسخة: «رَجُلٌ»[1]؛ معنى: «رَجُلٌ» هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الرواية الأخرى تفسِّر الرجل من هو، وجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هل هو رجل أم ملك؟ يقول هنا: «رَجُلٌ»؛ في صورة رجل، هو ملك، والملك لا يأتي للناس بصورته الملكية؛ لايطيقون ذلك، لا يطيقون رؤية الملك، فيأتيهم بصورة رجل؛ من أجل ألا ينفروا منه، هذه حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وما رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صورته الملكية إلا مرتين فقط: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:١٣-١٤]، رآه ليلة المعراج في السماء، ورآه المرة الأولى في الأرض حينما ضايقه قومه، وخرج من بينهم يفكر أين يذهب، وإذا بصوتٍ فوقه، فرفع رأسه، فإذا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على صورته بين السماء والأرض، هذا في بطحاء مكة، هذه المرة الأولى، المرة الثانية ليلة المعراج: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:١٣-١٤][2]، وإلا في باقي الحالات فإن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يأتي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة رجل، ويخاطبه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٥) (٩)، (٧) (١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٢٨٧) (١٧٧) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ولفظه: «﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير:٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٣] فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ =

قال: «فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». نعم، هذا الإيمان.

«قَالَ: مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ».

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ»، هذا معنى الشهادتين.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»، هذا أعمال أم ليست بأعمال؟ هذه أعمال، كلها أعمال جوارح ولسان؛ نطق بالشهادتين، هذا عمل اللسان، والصلاة والزكاة والقيام هذه كلها أعمال جوارح، والصيام، والحج هذه كلها أعمال جوارح.

«قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ»، إذا حقَّق الإنسان هذه المراتب -الإسلام والإيمان-، فإنه يرتقي إلى الإحسان؛ مرتبة أعلى، أعلى شيء.

والإحسان ما هو؟ الإحسان في الأصل: الإتقان، إتقان الشيء، يقال: يُحسنه؛ يعني: يتقنه إتقانًا، فالذي يتقن الدين، هذا محسن، أم لا؟ الذي يتقنه إتقانًا هذا يقال: محسن.

---

=هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ».

كيف يكون محسنًا؟ أن يعبد الله كأنه يراه؛ يعني: يكون عنده يقينٌ قوي بالله؛ كأنه يرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن لم يكن يراه، فإنه يعتقد أن الله يراه ويراقبه، هذه المرتبة الثانية من الإحسان، المرتبة الأولى: أن يبلغ كأنه يشاهد الله عَزَّوَجَلَّ من قوة اليقين والإيمان، المرتبة الثانية: إذا لم يصل إلى هذه المرتبة، فإنه يعلم أن الله يراه، فيُحسن العمل، ويتأدَّب مع الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله يراه.

**«قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**، هذه قوة اليقين.

«قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: **«مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**، أما الساعة، فالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليس عنده جواب، لماذا ليس عنده جواب؟ لأن الله أخفاها، فلم يُطلع عليها أحدًا، لا ملكًا مقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا، لايعلم متى تقوم الساعة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما العلم بأن الساعة ستقوم هذا كلٌّ يعلمه من المسلمين، لكن وقت القيام، تحديد قيام الساعة هذا لايعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف:١٨٧]، فأخفاها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما سأل محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«مَا المَسْئُولُ عَنْهَا»**، وهو محمد، **«بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»**، وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كلانا لا يعلمها، أنا وأنت لا نعلمها، وهكذا ينبغي للمسلم إذا لم يكن عنده جوابٌ للمسألة أن يقول: الله أعلم.



«قَالَ: مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا»، أما أشراطها، علاماتها، الآيات التي تدل على قرب قيامها، فهذه معروفة، بيَّنها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنا، بيَّنها لنا، ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هنا علامتين:

العلامة الأولى: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا».

العلامة الثانية: «أَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»(١)؛ البادية التي تسكن في بيوت الشعر والصحارى في آخر الزمان تتحرر، تسكن المدن، وتبني عمارات وأدوار، هذا من علامات الساعة، هذا موجود الآن أم غير موجود؟

«وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا» أو «ربَّتها»، رواية: «ربَّتها»؛ يعني: سيدتها، أو «ربَّها»؛ يعني: سيدها، كيف يكون هذا؟ قالوا: يتسرَّى بأمة، في آخر الزمان تكثر الجواري والمملوكات، فيكثر التسرِّي، فتلد هذه السريات من سادتها، المولود هل هو حر أم عبد؟ حر، والأم؟ عبدة مملوكة، يكون المولود حرًّا، والأم مملوكة، هذا من علامات الساعة؛ لأنه يكثر، وهذا موجود في الأول، لكنه يكثر في آخر الزمان.

«وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ»، البهم يعني: التي لا تنطق، الإبل البهم؛ بهيمة الأنعام: الإبل والبقر والغنم، سميت بهيمة؛ لأنها لا تنطق.

«فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]»، مفاتح الغيب ما هي؟ هي

(١) العلامتان من رواية مسلم (٨)، من حديث عمر رَضِّيَٱللَّهُعَنْهُ.

المذكورة في آخر سورة لقمان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان:٣٤]، هذه لا يعلمها إلا الله، ومنها أولها: علم الساعة؛ أي: قيام الساعة.

«ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ. فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: **هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ**» نعم، قال: «رُدُّوهُ»، يبيِّن لهم: اطلبوا الرجل، رجعوا إلى الرسول، فقالوا: لا، لا يوجد أحد، قال: «**فَإِنَّهُ جِبريل أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»، وفي بعض الروايات: «إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ»(١)، سبحان الله! شديد بياض الثياب وشديد سواد الشعر، هذا يدل على أنه من أهل المدينة، ولا يُرى عليه أثر السفر؛ حتى يقال: هذا آتٍ من بعيد، وليس هو من أهل المدينة، لا هو مسافر، ولا هو من أهل البلد، هذا عجيب، ولا يعرفه أحد، لو كان من أهل البلد، لعرفوه، هذه غرائب، كلها غرائب.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ)؛ يعني: البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ، يعني: نفسه.

قال أبو عبد الله: جعل الإسلام والإيمان والإحسان هو الدين، وهذه فيها أعمال وفيها اعتقادات، وفيها نطق، وهي الدين، فدلَّ على أن الإسلام والإيمان والدين قولٌ وعملٌ واعتقاد، هذا رد على من؟ على المرجئة.

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

**٥١- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ هِرَقْلَ، قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ، حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ».**

---

كانت قريش في الجاهلية يتاجرون في الرحلتين: رحلة الشتاء، ورحلة الصيف؛ رحلة الشتاء إلى الشام، ورحلة الصيف إلى اليمن، فرحلوا إلى الشام على العادة، وكان زعيم القافلة أبو سفيان بن حرب، فلما قدموا الشام، كان هرقل ملك الروم قد سمع عن بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أهل كتاب يعرفونه، ويعرفون الرسول، وأنه سيبعث، فسأل: «أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ»[1]، فسأله عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجابه أبو سفيان، ولم يقدر أن يقول شيئًا، مع عداوته للرسول قبل أن يسلم ما استطاع أن يقول كلمة كذب، فعند ذلك اعترف هرقل أنه رسول الله، وقال: «فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧).

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ».

قوله: «فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»؛ يعني: بلاد الشام.

وكلما سأله أجابه بالصدق، فقال: «فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ»، وفي النهاية اعترف له بالرسالة، وأراد أن يُسلم، لكن قومه من النصارى أنكروا عليه، فخاف على ملكه -والعياذ بالله-، فحينئذٍ أعلن عدم إسلامه؛ لأجل الحفاظ على ملكه، صدَّه حب الملك عن الإسلام، لكنه اعترف للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة، والشاهد منه هذه الألفاظ التي أوردها الإمام.

(قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ «أَنَّ هِرَقْلَ، قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟»)؛ أتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل يزيدون أم ينقصون؟ قال: «يَزِيدُونَ»، هذا دليل على أنه نبي، لو كان ليس بنبي، كان يتبين لهم أنه ليس نبيًّا، يتركونه، أم لا؟ كان يتبين لهم، يغترهم بالأول، ويتبعونه، ثم يتبين لهم أنه ليس نبيًّا، فيتركونه؛ مثلما حصل للمتنبئين.

قوله: «فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ».

«وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ»، هذا محل الشاهد «الإِيمَانُ»، فدل على أن قبولهم للإسلام من الإيمان.

قوله: «وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا».

«هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟»؛ يعني: كراهية لدينه، قال: لا، إن كان يرتد، فهذا لأمرٍ دنيوي، ما هو لشيءٍ في الدين، أو أن الدين في شيء مكروه منفِّر، لا، لكن يرتد لأغراضٍ أخرى؛ إما لطلب الرئاسة، وإما لطلب المال، وإما لأغراضٍ دنيوية؛ كما عند المتنبئين.

قوله: «وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ، حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ»، إذا استقر في القلب، فإنه لا يسخطه أحد؛ لأنه حق، بخلاف الباطل؛ فإنه وإن صدَّق به الإنسان أول وهلة لكن ينكشف عما قريب.



## بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ

٥٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ ابْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ».

---

هذا حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**»، هناك محرمات بيِّنة؛ مثل: الخمر، والربا، والزنا، والسرقة، هذه بيِّنة، يعرف كل أحد أنها حرام، ولا يقول أحد: إنها حلال، وفي قلبه إيمان أبدًا، لا يقول إلا ملحد أو كافر، أما مسلم، لا أحد يقول: إن الربا حلال، ولا يقول: إن الزنا حلال، ولا أحد يقول: إن السرقة حلال. هذا حرامٌ بيِّن.

وهناك حلالٌ بيِّن؛ مثل: البيع، مثل: الهبة والعطيَّة، مثل: الطيبات؛ الأطعمة الطيبة والأشربة الطيبة: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، لا أحد يقول: إنها حرام. إن قالها أحد، فهو كافر، الذي يحرم الحلال البيِّن هو كافر.

ولكن هناك أمورٌ مشتبهات، لا يُدرى هل هي من الحلال أم هي من الحرام بسبب خفاء الأدلة فيها، هذه أكثر الناس لا يعرفها، لا يعرفها إلا قليل من الناس، «**لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**»، فدلَّ على أن القليل -وهم العلماء الربَّانيون- يعرفونها.

إذًا ما موقف المسلم من هذه الأمور؟ موقفه أن يأخذ الحلال البيِّن، وأن يترك الحرام البيِّن، وأن يتوقف فيما اشتبه عليه؛ فلا يدري هل هو من الحلال أو من الحرام، وهذا ما يسمى بالاحتياط، «**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فقد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»، هذا احتياط وورع، يتوقف عما لا يعلمه، حتى يتبيَّن له هل هو من الحلال أم من الحرام؟

أما الإنسان الذي ليس عنده مبالاة، فإنه يقول: انتهى، كل شيءٍ حلال، ويأخذ المشتبه، هذا لا يقف عند المشتبه، في النهاية يتعداه إلى الحرام؛ مثل: الراعي الذي يرعى عند الحمى، والحمى تعرفون، بعض الملوك وبعض الرؤساء يحمون لدوابهم، أو لدواب الرعية في المصالح العامة، يحمون بعض المراعي، يحمونها من الناس؛ لترعاها إبل الصدقة، أو إبلهم الخاصة، يأتي راعي غنم، ويرعى العشب القريب، ولا يدري أنه محمي، ويترك غنمه حوله، الغنم إذا رأت الرعي، تذهب بجانب الرعي والخضر؛ لأنها لا تدري، والسبب هو راعيها، الذي أتى بها حول الحمى.

«كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»، كان الواجب أن الراعي يبعدها عن الحمى؛ فلا ترعى، فهذا مثل الإنسان الذي لا يتجنَّب المشتبهات، حريٌّ به أن يتخطَّى إلى المحرمات، هذا واضح من الحديث.

لكن ما علاقة هذا الحديث بكتاب الإيمان؟ علاقته أن أخذ الحلال البيِّن وترك الحرام البيِّن والتوقف للمشتبهات هذا من الإيمان، فقوله ﷺ: «مَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»، فسمَّاه استبراءً للدين، فالذي يتوقف عن الحرام والمشتبهات هذا استبرأ لدينه، سمى هذا دينًا.

ولا شك أن من ترك الشبهات، الترك هذا عمل أم لا؟ الترك هذا عمل، سماه النبي ﷺ: دينًا؛ «اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ»، فدل على أن العمل من الدين، وهو ترك المشتبهات.



## بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ

٥٣- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ -أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟-» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: المُقَيَّرِ، وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ».

---

أداء الخمس هذا عمل، الخمس هو خمس الغنيمة، الله جَلَّ وَعَلَا أمر بأن الغنيمة يُنزع منها الخمس لله وللرسول ولذي القربى، والباقي يُقسم أربعة أخماس، يُقسم بين الغانمين؛ للفارس ثلاثة أسهم، سهمٌ له وسهمان لفرسه، وللراجل سهمٌ واحد[1]، يُقسم بين الغانمين: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٢٨)، ومسلم (١٧٦٢) عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ، وَلِلرَّاجِلِ سَهْمًا. قَالَ: فَسَّرَهُ نَافِعٌ فَقَالَ: إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ فَرَسٌ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَسٌ فَلَهُ سَهْمٌ».

فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [الأنفال:٤١]، فما بقي بعد الخمس هذا يُقسم بين الغانمين.

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل أداء الخمس من المغانم، جعله من الإيمان؛ كما في حديث وفد عبد القيس.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ)؛ يعني: يتعلم منه.

«ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«مَنِ القَوْمُ؟ -أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟-»**؛ وفد عبد القيس هم أهل الأحساء، أهل دارين.

«قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: **«مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»**، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ»**، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

«**قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ**»، انتبهوا!

«قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»، وهكذا ينبغي، الذي لا يعلم يقول: لا أدري.

«قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»، هذا يدل على أن الأعمال تدخل في الإيمان، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذا نطق، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، هذه أعمال، هذه أعمال جوارح، «وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»، هذا عمل، كل هذا بيان للإيمان، فدل على أن الأعمال داخلة في الإيمان.

«وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ[1] وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: المُقَيَّرِ»، هذه ظروف الخمر، الخمر يعني، وهذه ظروفه، هذه أواني الخمر، الحنتم والدباء، والدباء: القرعة التي تؤخذ، إذا تصلبت يأخذون قشرها، ويجعلونه وعاء، إلى عهدٍ قريب يجعلونه وعاء للأشياء، ومنها الخمر[2].

«وَالنَّقِيرِ»، النقير هو جذع النخلة، ينقرونه، ويجعلونه إناءً للخمر[3].

«وَالمُزَفَّتِ»، والمقير هو نفس الشيء، تعرفون القار والزفت[4].

---

(١) الحنتم: جِرار حُمْرٌ كَانَت تُحمَلُ إِلَى المَدِينَة فِيهَا الْخمر. انظر: العين (٣/ ٣٣٦)، وتهذيب اللغة (٥/ ٢١٦)، ولسان العرب (١٢/ ١٦١).

(٢) الدباء: القرع، والواحدة دباءة، وهي أوعيةٌ كانوا ينتبذون فيها وضرِيَتْ، فكان النَّبيذُ يغلي فيها سريعًا ويُسكِرُ، فنهاهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الانتِباذ فيها. انظر: العين (٨/ ٨٢-٨٣)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٤١)، ولسان العرب (١٤/ ٢٤٩).

(٣) قال أبو عبيد: (وَأما النقير فَإِن أهل الْيَمَامَة كَانُوا ينقرون أصل النَّخْلَة ثمَّ يشدخون فِيهِ الرطب والبسر ثمَّ يَدعُونَهُ حَتَّى يهدر ثمَّ يموّت). انظر: غريب الحديث للقاسم ابن سلام (٢/ ١٨١)، وتهذيب اللغة (٩/ ٩٢)، ولسان العرب (٥/ ٢٢٨).

(٤) قال أبو عبيد: (وَأما المزفت فَهَذِهِ الأوعية الَّتِي فِيهَا الزفت). انظر: غريب الحديث للقاسم ابن سلام (٢/ ١٨٢)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٢٨)، ولسان العرب (٢/ ٣٤).

(وَرُبَّمَا قَالَ: «الْمُقَيَّر»)، المقير هو نفس المزفت؛ القار هو الزفت؛ يعني: مدهونٌ بالقار، يدهنونه بالقار، أو يدهنون الأواني بهذا الشيء؛ لأجل أن تتصلب، ويضعون فيها الخمر.

«وَقَالَ: احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»، هذا دليل على أن العالم يبلغ من خلفه، إذا تعلَّمت شيئًا، فعلِّمه لغيرك، وخصَّ أهل بلدك وأقاربك.

هذا الحديث فيه دليل على أن الأعمال من الإيمان، بل أدخل الإسلام في الإيمان، وكما مرَّ فإنه إذا ذكر الإيمان وحده، دخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإسلام وحده، دخل فيه الإيمان؛ ولهذا يقولون: الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا انفردا، دخل أحدهما في الاخر، إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا، افهموا هذا!



## بَابٌ: مَا جَاءَ إِنَّ الأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالحِسْبَةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى

**فَدَخَلَ فِيهِ الإِيمَانُ، وَالوُضُوءُ، وَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالحَجُّ، وَالصَّوْمُ، وَالأَحْكَامُ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٤]؛ عَلَى نِيَّتِهِ. «نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا صَدَقَةٌ»، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ».**

---

نعم، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[1]، فدل على أن النية عمل قلبي لاشك، النية عمل قلب، فجاء وجعلها من الإيمان.

«**وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»؛ من الأعمال، من الخير والطاعات، أو نوى شرًّا، فله ما نوى.

(فَدَخَلَ فِيهِ الإِيمَانُ، وَالوُضُوءُ، وَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالحَجُّ، وَالصَّوْمُ، وَالأَحْكَامُ)؛ لأن هذه أعمال، انتبهوا النية شرطٌ لكل عمل، دخل فيه الوضوء، لا بد له من نية.

(الإِيمَانُ، وَالوُضُوءُ، وَالصَّلَاةُ)، والوضوء عرفناه، والصلاة تحتاج إلى نية، ليس هناك عبادة إلا وتحتاج إلى النية.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّما الأَعْمَالُ**» هذا عموم، «**إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات**»، أما لو قاموا، وركعوا، وسجدوا، ولا نوى صلاة، ما تصير صلاة، وإن كانت

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

أعمالها أعمال الصلاة، كذلك لو توضأ، وغسل أعضاءه على صفة الوضوء، لكنه لم ينو الوضوء، لم يرتفع حدثه، عمله دون نية ما يعتبر.

(وَالزَّكَاةُ)، لو أنه أخرج ماله، وقال بعد ذلك: اجعلوه زكاة، أخرج مالًا وما نوى شيئًا؛ نوى تبرعًا، ولو نوى معروفًا أو منفعة لأحد، ثم تذكر أن عليه زكاة، قال: اجعل المال الذي أنا أعطيته لفلان زكاة. نقول: لا، فات عليك، يوم دفعته ما نويته، **«إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات»**، أنت ما نويت عند الدفع أنه زكاة.

(وَالحَجُّ)؛ الحج لو أنه راح لمكة، ووقف على المشاعر أيام الحج، وأدى أعمال الحج، لكن ما نوى حجة؛ يشاهد، ولا يمشي مع الحجاج، فقط يشاهد للاطلاع -كما يقولون-، ما له حج هذا؛ لأنه ما نوى.

كذلك من طاف بالبيت، وسعى، ووقف بعرفة، وفي مزدلفة، وفي منى، ورمى الجمرات، لكن كل هذا للاطلاع، ما يعمله مع الناس للاطلاع، ولا نوى الحج، ما يصير له حج.

(وَالصَّوْمُ)، لو ترك الطعام والشراب من الفجر إلى المغرب، وما نوى العبادة، ما يصير له صيام، افرض أنه مريض، وصام يريد العلاج، أو الطبيب منعه من الأكل والشرب، ومر عليه يوم كامل من طلوع الشمس إلى الغروب، ولم يأكل، ولم يشرب بموجب أمر الطبيب، هذا ما يصير صومًا شرعيًّا، هذا صوم لغوي.



(وَالأَحْكَامُ)، سائر الأحكام كلها لا بد من النية: «**إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات**»، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، ما يقول: اعلم أن الصلاة تشترط لها النية، اعلم أن الزكاة تشترط لها النية، اعلم أن الوضوء تشترط له. ما قال هكذا، بل قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات، وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» هذا يندرج تحته كل العبادات بلفظ وجيز.

(وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٤] عَلَى نِيَّتِهِ)؛ على شاكلته، على نيته، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٤]، كلٌّ يعمل، لكن الذي يعمل بدون نية لا يكون عمله عبادة، ولا يؤجر عليه، حتى يكون له نية في العبادة.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا صَدَقَةٌ**»، الرجل يجب عليه أن ينفق على أهله، على زوجته، هذا واجب؛ أن ينفق الزوج على زوجته، ولو أن زوجته غنية، لو أن عندها أموال، نفقتها على زوجها، هذا شيء واجب عليه، إذا احتسب الأجر في إطعام زوجته، صار صدقة يؤجر عليها، حتى ما تجعله في فِيِّ امرأتك، يصير صدقة، إذا نويته واحتسبته، يكون صدقة.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»؛ جهاد ونية يعني: لو قاتل بدون نية الجهاد، ما يصير جهادًا؛ «**جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»، جهاد بدون نية لا يكون جهادًا شرعيًّا له فيه أجر.



**٥٤ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».**

---

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث جاء بالقاعدة العامة، فقال: «**الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» ثم طبقها على هذا المثال الهجرة، والهجرة هي: الانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين؛ فرارًا بالدين، هذه الهجرة، لو واحد انتقل من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين بدون نية الهجرة يكون مهاجرًا، لا، ليس له أجر الهجرة؛ لأنه ما نوى.

لو نوى غير الفرار بالدين، لو نوى بالهجرة والانتقال غير الفرار بالدين، لامرأة ينكحها، «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا**»، واحد انتقل من بلد الكفر إلى بلد الإسلام من أجل فلانة يتزوجها، ويقال: إن رجلًا هاجر من مكة إلى المدينة يريد الزواج بامرأة يقال لها: أم قيس، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا**»؛ تجارة، جمع مال، أخذ صدقات.

«**أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»؛ مهاجر للدنيا، أو مهاجر للنساء، وليس مهاجرًا إلى الله ورسوله؛ لأنه لم ينوها، فصار هذا الرجل يسمى مهاجر أم قيس[(١)].

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ٥٥)، وفتح الباري (١/ ١٠).

**٥٥- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَدِيُّ ابْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ».**

---

ومناسبة حديث النية على ما سبق من الأعمال، سبق أعمال كثيرة، إيراد هذا الحديث أو هذه الأحاديث في النية؛ ليذكر المسلم على أن هذه الأعمال السابقة لا تحسب عند الله إلا بالنية، هذا مناسبة ذكر النية في آخر كتاب الإيمان، لما ذكر أن الأعمال كلها تدخل في الإيمان، بين أنه لا يعتبر من الأعمال التي تدخل في الإيمان إلا ما كان بنية.



**٥٦- حَدَّثَنَا الحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ».**

---

مع أنها واجبة عليه، ملزم بها، لكن إذا اعتبرها تقربًا إلى الله، وأداء للواجب عليه، صارت صدقة. فالنية تحول العادة إلى عبادة.

(قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»**)؛ تبتغي وجه الله، هذه النية، **«تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا»**، حتى النفقة الواجبة عليك إذا نويتها تقربًا إلى الله، صارت عبادة، وصار أجرها لك.

❀ ❀ ❀

## بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ: لِلهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٩١].

---

النصيحة عمل، فالذي ينصح الناس، ويذكرهم، ويعظهم، هذا عمل، يدخل في الإيمان، النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، فجعل النصيحة من الدين، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:٩١]، الجهاد واجب في سبيل الله، إذا استنفر ولي الأمر، «إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا»[1]، ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة:٣٨]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا»، واجب هذا، لكن الله عذر الضعفاء والمرضى، وعذر الفقراء الذين لايجدون ما ينفقون في الجهاد في سبيل الله؛ لا يجدون رواحل، لا يجدون زادًا، عذرهم الله في القعود عن الجهاد، لكن بشرط: إذا نصحوا لله ورسوله، ما قعدوا كسلًا أو عجزًا، وإنما قعدوا مع نيتهم الجهاد، لكن حبسهم العذر، هؤلاء لهم أجر المجاهدين.

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم في سفر، في جهاد، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٣٤، ٢٧٨٣، ٢٨٢٥، ٣٠٧٧، ٣١٨٩)، ومسلم (١٣٥٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[1]، لماذا؟ حبسهم العذر، لكن نيتهم الجهاد، لو تمكنوا، فهم جاهدوا بنيتهم، وإن لم يجاهدوا بأبدانهم؛ لما حبسهم العذر، فدل على أن النية لها مقام عظيم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى ولو لم يعمل، إذا كان هذا لعذر.



(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٣).

٥٧- حَدَّثنا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

---

قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»، فدل على أن النصح يبايع عليه؛ لأنه من الأعمال مثل الصلاة، مثل الزكاة، مثل...، ما تقول: أنا لاشأن لي بالناس، ومن يفسد يفسد، أنا ليس لي إلا نفسي. لا، هذا ما يجوز، عليك أن تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، عليك أن تدعو إلى الله، عليك أن تنصح وتذكر، هذا واجبٌ عليك، هذا من الدين، داخل في الإيمان.



٥٨- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ. ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لِأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلَامِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ».

---

كان المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرًا على الكوفة، فمات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نصحهم هذا الصحابي الجليل بأن يبقوا على السمع والطاعة، وأن يستعفوا لأميرهم، ويطلبوا له العفو والمغفرة، هذا من النصح، ثم أخبر أنه بايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جملة ما بايع عليه النصح، دل على أن النصيحة أمرٌ مهم، وأنها من الدين، «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، والنصيحة عمل؛ يعني: أن تنصح بالقول وبالفعل.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

## قائمة المصادر والمراجع


- اجتماع الجيوش الإسلامية ابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤هـ.
- أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.
- الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، عدد الأجزاء: ٩.
- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، المؤلف: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، عدد الأجزاء: ٤، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

۞ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨هـ)، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس - عمان، عدد الأجزاء: ٢.

۞ الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أبي يحيى، محمود أبو سن. دار طيبة، الرياض.

۞ الإيمان الكبير، شيخ الإسلام ابن تيمية. المكتب الإسلامي.

۞ الإيمان. محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

۞ البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.

۞ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

۞ تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧هـ، عدد الأجزاء: ١١.

- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثالث، المؤلف: أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: صلاح بن فتحي هلال، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد المجلدات: ٤ (٣ ومجلد فهارس).
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - دار الفكر - بيروت.
- تفسير ابن جرير الطبري، المسمى جامع تأويل القرآن دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.
- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ.
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن. طبعة دار الشعب، القاهرة.
- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

❁ الجنى الداني في حروف المعاني، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١.

❁ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

❁ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

❁ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١٩.

❁ حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

- ديوان الإمام المجاهد ابن المبارك، المؤلف: عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن، المحقق: مجاهد مصطفى بهجت، الناشر: مجلة البيان، سنة النشر: ١٤٣٢ - ٢٠٠٢، عدد المجلدات: ١، عدد الصفحات: ٢٠٩.
- الرسالة الماتريدية، رسالة ماجستير للشيخ شمس الدين الأفغاني بالجامعة الإسلامية.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٧.
- روضة الناظر وجنة المناظر أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي. دار الزاحم.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢، عدد الأجزاء: ٢.
- الزهد والرقائق لابن المبارك يليه (مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ)، المؤلف: أبو عبد الرحمن

عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

- السنة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: سالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- سنن البيهقي الكبرى أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.
- سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

- السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٤.
- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٣ ومجلدان فهارس).
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.
- السيرة النبوية - ابن هشام - مكتبة المنار - الأردن - ١٤٠٦هـ.
- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

۞ شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

۞ شرح التسهيل المسمى تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، المؤلف: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ، عدد الأجزاء: ١١ (في ترقيم مسلسل واحد) (١٠ ومجلد للفهارس).

۞ شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الراب عة١٣٩١هـ.

۞ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.

۞ شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

۞ شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، المحقق: عبد الله

ابن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٣.

- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري. دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.
- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠هـ.
- صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- طبقات الشافعية الكبرى - دار هجر - القاهرة ١٤١٣هـ.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ، عدد الأجزاء: ١.
- العقيدة رواية أبي بكر الخلال، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث، بيروت.
- غريب الحديث، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٤.
- غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت.

- فتح القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
- الفقه الأكبر، الإمام أبو حنيفة، مكتبة الفرقان، الإمارات.
- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، تصوير: ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ١.
- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

۞ كتاب الأموال، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر. - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

۞ كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.

۞ لسان العرب، لابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

۞ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي تحقيق: بدر بن عبد الله البدر. الدار السلفية، الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

۞ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

۞ المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).

۞ مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد،

الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

- مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن وتهذيب ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي. ط دار المعرفة - بيروت.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ
- مسند ابن أبي شيبة، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: عادل ابن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.
- مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- مسند أحمد بن حنبل - النسخة المحققة بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ.
- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.
- مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقّري الرّافعي الفيُّومي، المكتبة العلمية، بيروت.

- المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.
- معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.
- المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس. دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٢هـ.
- معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧ (٦ أجزاء ومجلد فهارس).

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ١.
- المغني لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ٢.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.

۞ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد المجلدات: ٩.

۞ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

۞ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

۞ الـوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

۞ وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

۞۞۞

# فهرس الموضوعات

تم بحمد الله